

مكتبة الأسرة



مهرجان القراءة للجميع

حزين عمر اليوم العاشر

ملحمة شعرية

إبداع الشباب



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

(اليوم المباشر)

ملحمة شعرية

كتبها

حزین عمر



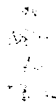
الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

الإخراج الفنى والغلاف
صبره عبد الواحد

الغلاف
والرسوم الداخلية

للفنان محمد قطب



إهداء

إلى من علّمونا أن للإنسان إنسانية ولليل فجرأ ، وفى
الحياة أملاً . . الأساتذة : أحمد زكى عبد الحليم ، عبد
الفتاح الديب ، جلال العريان ، محمد فودة ..

وفاءً وحبا

حزين

١٩٩٢

الفـرـبة

من جدّة .. والموصل .. والخرطوم .. ومُسقَطْ
والقاهرة .. وعمّان .. وتونس
كان رجالٌ فى أيديهم نارُ النارِ تَلَطَّتْ غِيظًا
كانت صاروخاً ، مدفعَ رشاشٍ ، طائرةُ
كانت عزمًا
أن تمحوَ نارَهُمُ المشرقةُ
غبارَ الظُّلْمَةِ
كانت أفئدةُ
ينشرُ فيها التاريخُ
ظلالَ المجدِّ الوارفةِ
على شطآنِ صلاحِ الدينِ
وببيرسِ
والفاروقِ وقُطْنِ

كانت أفئدةً

توقن أن الموت حياة

ما دام الذل يعكر صفو الفجر

ويرفض أن يطلقه من قيد

يرزح فيه طوال سنين

ويخنق أرض الوادي في قبضته

يعصر قلب النيل دماء

عمّت رمل الطور

وتلثت ، تلثت دون حياة

دون ممات .. دون تنفس

* * *

كان الليل - وما أطولهُ - حطّ جناح الظلم

على أرض التقديس الأبدى الأزلى

وافترش ملاء من عظم الأبرار

وجلد الأخيار .. وشعر الشهداء

.. ونام عليه

ورفع الساق على الساق

وراح يشم نسيم النيل ويطلقه سماً

رجلٌ كانت فوق العقبة

تضغط .. تضغط .. تعصر فيها

والأخرى فوق البرزخ
عند مدائننا الوالهة الثكلى
تعبثُ فيها بالدانات
ويدُ الليل تضم العقبة .. تقهرها
وتغطي وجه عروبتها
تطمسه طمساً مجنوناً
يقتاتُ من الحقد طعاماً

* * *

كان الليلُ دموعَ يتيم
طفلٍ يحبو فوق الأرضة المغمورة قهراً
بين خرائب يعوى فيها الخوفُ الهادرُ
والطفلُ وحيدٌ وسط الظلمة والأشلاءِ
يقلّبُ .. يبحثُ عن أبويه
ويصرخ
ظل صراخُ الطفل .. ديبيا
بين زلازل .. برق .. رعدٍ
من أعداءٍ ما باركهم أبداً أبداً
رَبُّ الحُبِّ
نفثوا الذلَّ - المتعفنَ فى أنفسهم طول الدهرِ
خراباً عمَّ جميعَ الأرضِ

ضَمَّ الجوعُ إليه الطفلَ فمزق صدره
مات الطفلُ الولهانُ إلى ثديِ الأم
الماخوذة غيلةً
مات الطفلُ ..

* * *

كان الليلُ أنينَ «خديجة» جرتُ خِرْقاً في أرجلها
تعدو .. تهجرُ وطنَ الذكرى والأمنيه
تحمل فوق الرأسِ غباراً
لَفُ الشعرُ فأنبلهُ
تحمل فوق الكتفِ صفاراً من أرجلهم .
من أذرعهم
تعدو .. تعدو

بين الصخرِ ، وبين الظلمة ، والأطلالِ
بين ثنابِ الزمنِ الأسودِ
تحت ضلوعِ خديجةٍ يعوى
شبحُ شبٍّ ، وفاضِ جنونا
- أين الزوجُ ؟ !

- مات الزوجُ

- فأين القبرُ ؟ وأين النعشُ ، وأين الكفنُ ؟

- يده كانت شرقَ الأرضِ .. تضمُّ إليها قبضةً رملٍ

رأس الرُّجُلِ تَوَارَى غَرِيباً
يرنو العالمَ دونَ حياةٍ
أما القلبُ فقد فحَّمَهُ غَدْرُ النَّارِ
وداس عليه عدوُّ الخيرِ
فاضحى القلبُ - النبضُ - رمالاً
ذابت وسطَ البيدِ بسينا
واختلطتُ بدما الهكسوس
وجنودِ الفرعونِ القاهرِ
موجَ الحِيثِينَ الآثَمِ .

تمضى المرأةُ
شعباً - شعباً
درياً . . درياً
فوق كتيبِ الرملِ تَلَطَّطَتْ
أعلى الرأسِ أزيزُ عدوِّ
تمضى المرأةُ للمجهولِ
تحملُ فوقِ الكتفِ . . صِغَاراً
ورجالاً من طمى النيلِ !!

* * *

قَلْبَ الْبِيدِ
جَوَارَ الطَّوْرِ

جُحُورٌ وحوشٍ : تلدغُ ، تنهشُ
بالأنيابِ وبالأخلاقِ
ومنذُ سنينَ تعاني الجوع
مضتِ الأنثى بينَ الجُحرِ وبينَ الشقِّ
ويصرخُ فوقَ الكتفِ عيالٌ : جوعاً . . فزعاً
هَمَّتْ أفعى من مرقدها
تنصب رأساً مثلَ نَنُوبِ العالمِ أَجْمَعِ
كانَ الجسمُ كشجرةٍ نبقِ
دونَ غصونٍ ، ، دونَ فروعٍ ، دونَ وريقه
هذا الجلدُ كلونِ الفقيرِ
ولونِ اليُثمِ ، ولونِ الذِّكِّ
الحيَّةُ تبدو ساكنةً
عدةً أمتارٍ قامتها
والسُّمُّكُ كَدُبٌ مستلقٍ
وخديجةٌ تمضى ما تدرى
ألوانَ الموتِ ولا طعمه
الموتُ تلمظُ فى الحيةِ
وتدلى من فمها الأسنُّ
فى طرفةِ عينٍ ، فى خفقةِ
ينقضُّ على طفلٍ بَضٍّ

لم تَرَهُ عيناها إلا
بين ثنايا الفكِّ الغابر
رأسُ الطفلِ
ونراعه تدورُ . . تجدُّفُ في اللاوعى
رجلُ الطفلِ تبدلُ أعلى . . ومعلَّقةُ
هذى الحيةُ . . تبلعُ تهضمُ : رأسَ الطفلِ
نراعَ الطفلِ
وخصرَ الطفلِ
وساقَ الطفلِ
.. وقَرَّتْ عينا ! !
ثم تراخت . .
جَنَّبَ خديجة حين تردَّتْ فوق الرمل ! !
ثم انسحبتْ بعد دقائق نحو الجُحرِ
شبعَ البطنُ !
رَبَّعَ اليومَ وجلَّدُ خديجةُ
ملقى يأساً بين الصخرِ ، وحرُّ الرملِ
وطفلُ يحبو فوق الرملِ فيلدغه
والآخرُ يعبثُ بالصنبرِ
يستجدى ثدياً يرضعه
لم يرضعُ لبناً . . بل شفقة

فتناول شعر النائمة
ويشدُّ . . يشدُّ فأيقظها

لا تبكى ولداً مفقوداً
فالفقدُ مباح
والموتُ مباح
والقتلُ مباح
بالنارِ ، وبالفارِ ، وباللدغِ ، وبالبلعِ
الجرى ، الجرى بطفلها
يتعلق طفلٌ فى ثدى
والآخر يعلق بالآخرى
ويمصُّ بجلدٍ متورمٍ
والقطرة تخرج من ثدى
كخروج الروح من الجسدِ
لم تاكل منذ يوم كسرة
لم تشرب منذ أمس قطرة
لكن تجرى
خوفَ الخوفِ
وخوفَ المجهولِ القابع بين الصخرِ
وتحت سماء حمراء تعوى
الجوعُ يمزق معدتها

يساقط بالرمل العرق المالح
تغبر بالآهة

يومان وليل قد مرت

والبرد تسربلها ليلا

والشمس تشتتته صبحا

كى تتمدد فى أعظمها فتبخرها

ثالث يوم . . تلمح كهفاً بين الظلمة

لهتت نحوه

انسنت ناساً مرصوصين . . نياماً كانوا

وتغطيهم شُبُهَةٌ لحف

وجوارهم فى أنية : ماء بارد

خبز ، جبن ، قطعة حلوى

طعم الماء غريب . . لكن . .

لكن . . حلوا

سقت الولد

ورويت منه

فرحت . . أكلت . . نامت نوما

شدت أعطية وتغطت

وسط الناس

وحضن النوم

بعد زمان - لم تتركه - صحت المرأة
من نومتها
لكن ظل الناس نياما
أكلت . . شربت
سقت الولد
لكن ظل الناس نياما . .
رفعت من فوقهم اللحف
بدت الجثث :
الامعاء . . القلب
مغبرة في رمل ودماء جف !!
ذكرت زوجا
ذكرت طفلا
بكت الانثى
نظرت . . تشرب
كان الماء كلون دماء المقتولين
الخبز ، الجبن تلتخ منه
فزعت ، داخت
شدت أرجلها . . الولدين ، وفرت
سعت المرأة طول اليوم
مقلبة ما بين الهضبة والصخرة

حتى لاحت بُعْدَ العينِ مصفحةُ
تحملُ علماً . . لا تعرفهُ

كان غريباً

فيه نجومٌ . . لكن ليس بها من ضوء
أنت الغريبةُ

وينادقُهم نحو خديجة والطفلين
مصوبُةً
ومهددةً

متوعدةً ! !

لو تتحرك . . أو تتقدم لمقاومة ! !
مَنْ ستقاوم ؟ !

جَوَّفَ العربيةِ

دَسُّوا المرأةَ

مدُّوا الأيدي

بصقت . . صرخت

لا يمكنهم سَلْبُ المرأةِ . . إلا الرُّوحُ

لا يمكنهم . .

شَدُّوا الشعرَ . . فليست تَضَعُفُ

قَرَعُوا الوجهَ . . فليست تضعف

شَمَخَ السنكى

فوقَ العنقِ
 فلم تتمللُ
 لم تستسلمُ
 فالشرفُ العربيُّ حياةُ
 شدوا الثوبَ عن النهدينِ
 فكشفوا العورةَ
 والصدرُ المستعبدُ . . حرُّ
 ظلٌ يدقُّ . . يثورُ النهْدُ
 بأنفةٍ عزٍّ أولَ يومٍ . . يعرفُ ذُلًّا
 هذا الخصرُ الضامرُ فنُّ
 منتظمٌ . . منسابٌ . . سهلٌ
 أسفلهُ جبلٌ خلفيُ
 من بللورٍ أملسٍ صيغُ
 يجرى فيه النهرُ الأعْمَقُ من بلوانا
 لم يعبره إلا الزوجُ الميْتُ وحدهُ
 يا حسرتهُ في مَوْتِهِ
 فهو الآنَ يموتُ . . يموتُ كالموتِ
 متُّ شهيداً . . لا تتألمُ
 زوجكُ ليست صيدا سهلا
 زوجكُ حصنٌ لم يقهرهُ يهوذا أبدا

زوجك بين الأيدي فرخٌ . .

لكن نارُ

ما ولجتها شهوة رجلٍ من ثلثهم

أبت الأنثى أن تتنازل

ليست مثل القدس ويافا

ليست (طورا)

بل معجزة

بل قاهرة أى دناسة

ريطوا الأنثى فى السياره

وعَدُوا جَرِيًا

كانت تجرى

النارُ بقلب جماعتهم تفتت الشهوة

وقفوا حينًا

نصبوا طفلا فوق الصخرِ

القتلُ له

أو قهرُ الأم وعفتها

لم تستسلم

ذبخوا الطفل . . فما ندى عينيها دمعُ

فالموتُ حياة . .

ونعيمُ العيش مع الأشرار هو الوادُ

حملوا الثانى

صعدوا أعلى جبلٍ نافرٍ

ويصحبهم كانت تمضى

لا تبدو بالعين مأسٍ

لا يُخلجها ذلُّ العُرَى

هل منهم إنسانٌ يُخجلُ ؟ ! ..

ربطوا الطفل بحضن الصخرة

وعلى حرفٍ من قمته

- قالوا : موتُ

- قالت : حُورُ

- قالوا : أم لا تتورع ..

- قالت : أنثى ذاقت قبلاً طعمَ الموتِ .. فهل ترهبهُ ؟ !

مات الزوجُ ، ومات الطفل

وضاع الكوخُ مع الخيمة

فلمن أبقى ؟ ! !

قذفوا الطفلَ ..

وحملوا المرأةَ فى عربتهم

كيما تبدأ عُمرَ الغربة

* * *

[الطير . . يهاجر]

ما زالت سيناء تننُّ
وتعدُّ القتلى والجرحى
لا تحصيهم عدداً أبداً
فى اليوم الخامس من يونيو
كانت نكسة
ليست حرباً
بين المدفع والمدفع
بين الطلقة والطلقة
بين الجندي المتدنُّ بالمجد العربى القالدِ
وابن يهوذا العبرى المرتزق القائه
زمنُ التيهِ يعيشُ فيهم . . لا يبرحهم :
قتلُ يثرب
وقعةُ خيبر

جِذِّرِ الْإِثْمَ تَفَرَّعَ فِيهِمْ مِنْذُ النَّشْأَةِ
لِضَلَالَتِهِمْ

لِعِبَادَتِهِمْ عِجْلاً ذَهَباً

ظَالَمُوا الْقَتْلَى ، الْمُقْتُولِينَ مِنَ الْيَوْمِ

* * *

فِي سَيْنَاءَ . . الْأَرْضِ الْبَكْرِ
أَوَّلَ يَوْمٍ فِي التَّارِيخِ لَهُمْ كَلِمَةٌ
أَوَّلَ يَوْمٍ فِي التَّارِيخِ لَهُمْ رَايَةٌ
أَوَّلَ يَوْمٍ يَمْلِكُ صَهْيُونِيُّ سِلَاحاً ،
وَعَتَاداً ، وَجُنُوداً جَلْفاً
يَتَحَكَّمُ فِي عُنُقِ سَوَاهُ
يَا لَلْقُسُوةِ !!

كَانُوا أَشْرَسَ مِنْ فِئْرَانٍ
لَيْسَ بِأَرْضِ الْغَابَةِ وَحْشٌ كِي يُرْهِبَهَا
كَانُوا أَغْلَظَ مِنْ خَصِيَانٍ
مَاتَ السَّيِّدُ كِي يَتْرَكَهُمْ مَلِكُ امْرَأَةٍ
فَانْزَلُوهَا

كَانَ يَهُودُ الْقَرْنِ الْحَاضِرِ فِي سَيْنَاءَ
- مِثْلَ يَهُودِ جَمِيعِ الْمَاضِي - دُونَ مَبَادِيءِ
فَتْرَى الْقَتْلَى ، وَبِلَا رَأْسٍ ، وَبِلَا قَدَمٍ

مرصوصين صفوفًا طولى . . لمصفحةٍ : تعبر ، تعصر
وترى «موشى» يُفرغ ناراً فوق الجثَّة ! !
«يورى» يصفعُ وجه الراحلِ
يبصق فوقه ! !
«بيجن» يلعنُ شخصاً مات !
لا يتكلم ، بل لا يسمع ! !
نام الأسدُ فلعب الفأرُ ! !

هذى الخيمةُ جنب الخيمةِ تسقط . . تهوى
وَكُرُّ الطيرِ احترق . . تبخر
لا صدحَ ييوجُ ولا نغمُ
والطيرُ يعود زرافاتٍ
نحو القاهرة . . يعانقها
وشطوطُ النيلِ تعانقه
ويمرُّ الطيرُ على الثكلى
ويكفكف دمعاتِ الموتِ
ويُحيى ذكرى من مات
قد كان حنوناً ، ذا أمل
ويعول الشيخَ مع الأمِّ
ويناغى الطفلَ ويرعاه
ويمر الطير على العذرا

ودموع العين تشاركها مَلَّةُ الجِرَّةِ
من تُرعتها
كانت تبكى حُباً دفن بأرض الطورِ
وليس يعود
كان حبيبا منذ الصغرِ
واقسم أولَ ما يفعله
حين يعود إلى قريته
أن يحضنها
يحكى كيف يعيش هواها فى غربته
يجلس معها تحت النخلة

* * *

ويمر الطيرُ على المرعى ، وعلى الحقل
وعلى البستان ، على المصنع . . ليذكُرْها
أن الراعى لن يطرقها بعدَ اليوم
ولن يتملأ فى مرقده
لن يتحرك
إلا بعد الثَّارِ الجامع من أعدائه
ويمر الطير على (ناصر) : يبكى أرضه
أن ينهزمَ الحبُّ العربى
أن ينتصرَ البغضُ العبرى

قال - ودمعُ يلسعُ شفةً تخشى الله :

إنَّ الأمةَ أمنيَّةُ

ومصيرُ يعلقُ فى عنقى

اخْلُوتُ بها ؟ ؟

أَنقَضْتُ العَهْدَ وميثاقاً من طنجةً حتى البحرين .

أَخَذْتُ الأمةَ ؟ ؟ !

.. لم أفعل ..

ما كان الأمرُ سوى مكرٍ

قَطَعُ الشريانَ هو الهدفُ

قطعُ الشريانِ .. فلا يجرى دَمُها فينا

الضربة حقاً مؤلِّةً .. فوق الرأس ،

وأنا المسئولُ المتصدى ،

وقوام الأمرِ يقلِّصهُ أقوامٌ ليسوا نوى مبدأ

وأنا المسئول المتصدى ،

ولهيبُ الخدعةِ يتطايرُ

فى كلِّ مكانٍ من حولى

وأنا المسئول المتصدى

لأبدٍ .. سارحلُ

لأبدٍ ..

ويمرُّ الطيرُ على النائم

كى يوقظه
ويمرُّ الطيرُ على العاملِ
وعلى الفلاح ، على الحرِّفى
على النُّسوانِ ، على الفتية
وينبه كلُّ ذوى أملٍ .

(أنْ عبدَ الناصرِ فى خطرٍ
وجميعَ الأمةِ فى خطرٍ
وستخسرهُ

الرجلُ القابعُ فى بيته
يتلظى همًّا وهياما
وعدوُّ الأمةِ يمقتُهُ
ويعولُّ أنْ يخلعَ جذرُهُ
فهو الفرعونُ
هو عمرُ

وهو التاريخُ بدفتركم
وهو الإشرافُ فى غدِكم
وهو المأوى

لومات الرجلُ من الهمِّ

فلمن أنتم ؟ ! !



هادرة جارفة . . تمضى	ويهبُ الشعبُ ملايين
ياناصِرُ ، وسنرجع أرضى	يفديكَ القلبُ مع العين
ديانٍ . . عنه لن نُغْضِي	ونردُّ مكيدَ الملعون
ودراكُ بالدم بالنبض	فلتعبُرْ نحو فلسطين
وسنمحو آثار البغض	سنمدُّ المجدَ لحطين

يتطلعُ ناصِرُ للشعب
رافعاً الرأسَ محلقةً
يا شعبي لن نُهْزَم أبدا
بل شعب يهوذا نمحقه
ما دام القلبُ به نبضُ
ما دام العقلُ به فكرُ
ما دام الساعدُ مشدودا
سنرد الأرضَ . . نصرها
واقود العُربَ . . إلى القدسِ

* * *

خريطة .. جولدا

جولدا ترفع فى مكتبها
بضع خرائط ترسم فيها
حُلْمَ يهودٍ فى القاهرةِ
وفى بغداد
فى يثربَ أرضِ الهدى ، وأرض المسجدِ
أرضِ السَّلمِ ، وسِرِّ الطَّهرِ
: هذى خطوه
بيتُ المقدسِ أولُ خطوه
حررناه . . وكان يتيماً منذ خرجنا
هذى الأرضُ يهوداً كانت
كل ترابِ الأرضِ يهود
كل نسيمِ الجو يهود
كل مياهِ البحرِ يهود

يا ملّتنا لا للمسلم فى بقعتنا
لا للقبضى
إنّ الأرض لآلِ يهوذا
خير خلق
وسانتهم
أحبابُ الله وأبناؤه
وجميعُ الخلقِ لنا ملكُ
نستعبدهم
ليس حراماً أن نقتلهم
طفلاً . . نسوة
وجهُ الحرمةِ فى إخواننا
أما غير يهود . . أبداً لن نرحمهم
فاخلعْ كلَّ نباتِ الأرض
واهدم كلَّ بناءِ الناسِ
واقتلْ كلَّ بنى عدنان
حتى نرفع صرحَ يهوذا
أرضُ النيل متاعُ خالص
لا تدعوها
حريراً . . خدعة
نستخلصها

هذه خطوة
بيت المقدس أقصر خطوة
يا شاول
ويا باروخ
ألا تسمعني ؟ !
بُثُوا الفرقة بين الناس
بتخابركم . . ويخبركم
بين الأخت وبين أخيها
بين الأم وبين الخال وبين العم
نصف النصر . بأن تلهيهم في أنفسهم
لو نخلهم لن يجتمعوا
لو يجتمع محيط الأطلس في مجراه
فهل تمنعه سدود العالم ؟ !
أنتم قلبه
وكمو كثره
نُسُوا الأنف بكل صغيرة
وسط المسجد والمدرسة
في خلوتهم
وسط الزوج مع زوجته
بين المرء وبين فؤاده

فلتنتشروا فى أنفسهم
 من واشنطن . . سوف نُدَعِّمُ
 فهى أخونا الأكبرُ سنأُ
 وهى الساعدُ . . لو يهتزُّ الساعدُ منا
 نحن المخلَّبُ . . إذْ تغرسنا
 نحن الضريةُ . . إذْ تطلقنا
 ما دمنا نحتاج إليها . . لن نتركها
 عبدُ الناصرِ . . يؤخِّدُ غيلةُ
 لكنْ دون الريبةِ فينا
 لو نلناه فلن يتململ جسمُ عربى

* * *

ظلَّتْ جولدا - شيطا نهمو -
 عودَ ثقابٍ يشعلُ غدراً فى أنفسهم
 ملأوا أرضَ الضفة ذعراً . . .
 بين العربِ - وحوشُ صبيئتُ
 من يقنصها ؟ !
 كلَّ ثوانى يُخطفُ طفلُ
 كلَّ دقائق يُقتلُ شيخُ
 يُذبحُ كهلُ
 تُهدرُ حرمةُ أى امرأةٍ



وجميعُ سجونهمُ امّلاتُ

لكنْ لم ييأسَ عربي

فى العُرىِ . . يفيضُ الإخصاب

فى البَرْدِ . . يفيضُ الإخصاب

فى الحَرِّ . . يفيضُ الإخصاب

هذى حربٌ للضعفاءِ أمامَ القوّةِ

كلُّ امرأةٍ تحملُ ذكراً . . بل واثنين

وتنجبُ . . تنجبُ

ماءُ النارِ على الوجهِ العربيِّ حريق

لكنْ يُنجبُ

بَنُوا حَبًّا فى أرغفةِ الخبزِ . . الماءِ

فلم تنفعهم

ويُصرُّ العربيُّ . . ويُنجبُ ! !

سَجَنُوا . . قَتَلُوا

وإذا اجتمعَ الأهلُ دقائقَ

كانت ذكراً . . ! ! !

* * *

[السر ..]

فى بطنِ أسيرتهم سرُّ
تحفظه مذُ بضعة أشهر
تغمره فى نبضِ الروحِ
الترددُ بين الجنين
إن خديجةً تسقى السرُّ النائم فيها
صفو الغدُ
تتمطى بين القضبانِ
تتشمُّ أخبارَ الصمتِ
تلهى بالسر الساكِنِ
تتبسّمُ
تذوق طعماً للفجرِ المتخفى بين الجنين
يترددُ بين الآهاتِ
إن هناك . . بعيداً جداً من أسوارِ

تعصُرُ كلُّ شبابٍ خديجةً وأنوثتها
يصطفُ الليلُ مع الليلِ
وطعامُ خديجةً أمنيّةً
وشرابُ خديجةً ذكراها

حبسوك . . فانتِ العملاق

يا سرّاً داخلهُ سر

لو كان الإفطارُ يبصقه

فوق الوجنة

ليس بهم . .

لو كان غداؤك باللطمة

أوشدَّ الشعرِ

فليس يُهم

وعشاؤك سخريةً سكرى

النومُ : وقوفاً وقعوداً

لا نومٌ ولا صحوٌ يكونُ

. . فليس يُهم

بل ليس مهماً أنْ يرحلَ

عن روحك جسدُك

ما دام السرُّ بأعماقك

يتراقصُ . . يلهو . . يتمددُ



لكنك . . تحيينَ الآنُ
تحيينَ الآنَ حياتين

والشوقُ إلى النجماتِ ضحكُ
يندمج الليلُ مع الليل
وفؤادك يتعمقُ فيكِ
وعيونك . . تخترق الغيب

من بُعدٍ يقتربُ الطيرُ
ويرفرفُ في ثوبٍ أبيض
من سينا يقترب الطيب . . .
الطيب . . .
الطيب . . .

... ومخاضُ خديجة يتفجّرُ !!!

* * *

[نَسُورِ الْعَرَبِ]

من قبضة ربيعٍ مرّت بين بنانِ النيلِ الأسمرِ
باركها النخلُ المتعبّدُ فوق التُّرعةِ
والحلمُ الكامنُ والصامتُ فى رَجَمِ الأمه
من حُفنةِ طينٍ يقبضها الأمسُ المتورّمُ
دهراً بمخاضِ الرغبةِ
يبسطها الشيخُ المتجشّمُ عمراً
لم يعرف أولاهُ
وعجوزَ مرٍّ عليها الدهرُ ونَسِيَّ حَصاصها
من بقعةِ ليلٍ وصباحٍ . . كان الحفناوى *
رائدُ طيارٍ
طفلاً . . يقرعُ سمعهُ
ولولةُ الثكلى

(١) الرائد طيار / محمد ضياء الدين يحيى الحفناوى .

يقرع عينيه الجُرحُ الممتدُّ من الخرطوم إلى مكة
تشتطُّ طفولتهُ ناراً حين يُقالُ :

«ذراعُ طولى»

فبأى الامتارِ تُقاسُ ؟ !

وبأى الاحكامِ الطولى ؟ !

أذراعُ طولى ؟ !

نقطعها . . . !!

شبلًا . . . شبُّ

غراماً بالطيرِ وبالقنصِ

وتسامقَ جسمُ الحفناوى

وسَمًا

جَبَلًا فوق الأرضِ يدبُّ

وعقلاً أكبرَ من محنتنا

وعواطفَ نهرٍ لا تنضبُ

أضحى رجالاً بالكُلَيْةِ الجوية .

شرفتُ بهُ

واعترزُ بها

خطوتُهُ فى التدريب . .

عبورُ . .

لا حَدُّ لها إلا الحق

كان أزيز «الميج» هواءً
ودماءُ ضياءٍ في صدره
والرمشُ خريطةُ سيناءِ المقبوضةِ قهراً
قبضةُ يدهِ قُبَّةُ صخرةِ بيتِ المقدسِ
ياصقر الكلية
ما أرقاك وأنتَ تحلُّقُ وحدكَ
وحدكَ بعدَ شهورٍ من تدريبك
تملاً جوَّ الكليةِ عطراً
من نفثاتِ البنزينِ بطائرتك
كسَّرتَ قياسَ الأرقامِ
وسجلتَ الرقمَ المستسلمَ لطموحك وحدك
يا بنَ ضياءِ الدينِ الحفناوى
لو شافت أُمكَ تحليقَكَ
فوقِ رُوسِ القاهرةِ الحُبلى
وتَفُوقَ زميلِكَ «أشرف»
لانطلقتَ زغرودةً فيها
من شبرا حتى السلومِ ويافا
والقدسِ الشرقيةِ والغربيةِ
تخفقُ عُنُقُ الصهيونِ الأكبرِ
لو نظر عيالُ الحارةِ نحوَ الجوِّ

وَأَنْتَ تَطِيرُ بِطَائِرَةِ التَّدْرِيبِ
لِقَالُوا لَكَ : يَا بَنِ الْعَفْرِيَةِ
لَأَنْتَ الْأَعْلَى
اقْذِفْ عِدَّةَ نَجْمَاتٍ مِنْ فَوْقٍ .
نَتَسَلَّى . . نَلْهُو
نَقْتُلُ هَذَا الْوَقْتَ الْمَشْحُونِ سَكُونًا
لَا يَقْلُقُ
لِقَالُوا لَكَ :
يَا عَزِيزُ . . يَا عَزِيزُ
ضَرْبُهُ تَأْخُذُ الْإِنْجِلِيزَ
إِلَهَى الْكَوْنِ . . إِلَهَى الْكَوْنِ
ضَرْبُهُ تَأْخُذُ آلَ صَهْيُونِ
أَهْلَ الْمَكْرِ . . وَأَهْلَ الْخُدْعَةِ
أَهْلَ الْفُشْرِ . . وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ
أَخْبَثُ خَلْقَ اللَّهِ عِ الْأَرْضِ
بَاعُوا الدِّينَ . وَالْوَادِ ، وَالْعَرْضِ
عَلْشَانَ قَرَشٍ . . ثَلَاثَةَ قَرُوشَ
بَيْتَ صَهْيُونِ . . تَلَاقِيهِ مَغْشُوشُ
أَجْرِي وَحَلَقِ
حَلَقُ حُوشُ

حوشُ

حوش

حوش

حوش .. !!

* * *

«يا يحيى خذ الميع بقوه ..»

واجعل فوق سماء الأرض سريراً

والأسرار

اركبُ «ميع» وحلّقْ

فوق غبار الصمت . . ومزقه

واهزمه شرّهزيمة

يا يحيى

كن بطلاً بين التشكيلات «الميجية»

وتزوج صبرك والقوه

كى تنجب نصرا

* * *

حول خريطة سيناء الكبرى

التفُ الشبانُ الطيارون السباحون

مع النجمات ، مع الأمل

أيام أربعة مرّت

والحالة (قصوى) لا تهدأ

فمتى نبدأ ؟ ؟

ومتى نَبْرُقُ فى الأجواء السُّكْرِى حُرنا

ومتى نرسل نحوَ غبارِ الرملِ بسينا

ألفَ تحيةً

من نيرانِ قنابلنا

نغسل بالنارِ العارَ

نذيب الذلَّ العالقَ فى حباتِ الرملِ

ونُمطِرُ عزاً

أيامُ أربعَ

وجميعُ الطيرانِ طواريءَ

ودرسنا الخطَّةَ بتأنٍ :

من أين سنطلق زلزالا

ومتى سنفجر بركانا

للمرةِ كَمْ ، لسنا ندري .

زُوِّدْنَا الخطَّةَ تلقينا

وتجاربَ ، وتجاربَ أخرى

وطواريءَ ، عدةً مرات

أَتَكُونُ المرةُ طارئاً

يخمدُها صمتٌ يتلوها ؟ ! !

فمتى تنفجر حرائقنا
ومتى تنطلق مصائرنا
ومتى نعبر نحو الطور
ونبى فوق سماها السور
ونصطادُ عناكبَ صُهيونَ
متى .. ومتى .. ومتى !!

* * *

حول خريطة سينا الكبرى
قائدُ سربٍ (محمد) يشرح
ما كان تَكَرَّرَ مرات :
من أين سندخلُ سينا
وبأى الطيرانِ سنعبُرُ
وبأى الأهدافِ سنبدأُ
كم زمنُ التصويبِ الأمثلُ
والعودةُ من أين تكونُ

قواتُ الجيشِ بِعُدَّتِها
فى البحرِ وفى الجوّ تمورُ
والجيشُ الثانى والثالثُ
يَنتظرُ الخُطَّةَ . . يترقبُ
البحرُ الأحمرُ محشودُ

بالسفن العملاقة حشدا
فالماء سفائن حربيه
البحر الأحمر هضبات
تتحرك
تمخر
تطلع

.. تنتظر اللحظة
فى عمق الماء زارقنا
تتقافز
تزهو
تتبخر
تتشوق
تأمل
توعد

.. تنتظر اللحظة
البحر المتوسط طود
من نار ودمار لهمو
ما بين البرهه والبرهه
يزار .. يتوعد
ينتظر فريسته السكرى
يا طول الصمت ويا صبره

* * *

فِي غَمْضَةٍ عَيْنٍ سِيحَطُّمُ

كُلُّ الْأَزْمَنَةِ الْمَغْرُورَةِ

لَكِنْ سَفَانُنَا الْعَظْمَى

. . مَا زَالَتْ تَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ

لَكِنْ السَّاعَةُ آتِيَةٌ

لَا رَيْبَ سَتَأْتِي صَاعِقَةً

قَدْ قَالَ (السَّادَاتُ) وَأَكْثَرُ

وَالْفِرْدُ الْحَاكِمُ لَا يَكْذِبُ

يَا كُلُّ صَقُورِ عَرُوبِقْنَا

الْيَوْمَ الْمَقْبِلَ سَتَرُونَ

أَقْطَارَ الْأَرْضِ بِقَبْضَتِكُمْ

وَاللَّعْنَةُ حَلَّتْ بِبِهْوَذَا

فِي نَفْسٍ قَالَ الشَّبَّانُ :

الْيَوْمَ . الْيَوْمَ وَلَيْسَ غَدَا

الْيَوْمَ . الْيَوْمَ وَلَيْسَ غَدَا

الْيَوْمَ . الْيَوْمَ وَلَيْسَ غَدَا !!!

* * *

بِمَسَاءِ الْجُمُعَةِ

فِي التَّاسِعِ مِنْ رَمَضَانَ الْأَعْظَمِ

كَانَ جَمِيعُ نَسْرِ الْقُطْرِ

بإحدى القاعات الكبرى

بمطارهمو .. ينتظرون

قراراً ما ..

إمّا حربٌ ، أو لا حرب

أشرفُ يجلس عن ميمنةٍ من يحيى

وحسينٌ - قائد تشكيلهمو - يجلس عن ميسرةٍ .. ينتظرُ ..

فى أقصى يسارهمو (عادل)

أصغروهم سنا

فى عينيه شرارٌ نافرٌ

فى جنبه يمجج الخاطر

فى شفثيه سؤال حائرٌ :

- أترى يُعلنُ هذا اليومَ

بالأحربِ

وأنَّ الأيامَ الخمسةَ فى التدريبِ

وفى الخطّة.. ما كانت غيرَ مناورة ؟ !

يا خبيبتنا لو نتراجعُ عن فورتننا

ونعود لنفرق فى الصمتِ

ونمزقُ من شوق النفس ..

يا أشرفُ .. هل ترضى هذا يا أشرفُ !

- ما يُرضينى غيرُ الفائتوم .. أسقطُها

وأَقْدَمُهَا لِحَبِيبَةِ قَلْبِي .. أَلْعَوِيَّةُ
قَدْ كُنْتُ وَعَدْتُ .. فَهَلْ أَخْلَفْتُ ؟ !
لَنْ تَقْبَلَ إِهْدَاءُ مِنِّي
لَنْ تَقْبَلَ بِسَمَاتِ الْوَجْدِ
لَنْ تَقْبَلَنِي
لَوْ عَدْتُ بِغَيْرِ هَدِيَّتِهَا
فَأَنْتُمْ صَهْيُونَ أَقْدَمُهَا ..
أَوْ لَيْسَ كَذَلِكَ يَا يَحْيَى ؟ !
قَلْ وَتَكَلَّمْ
فَالْغَيْظُ يَمْزِقُ أَضْلَاعَكَ
لَوْ مِتُّ مِنَ الْغَيْظِ حَبِيبِي
فَبِمَنْ سَنَقَاتِلُ يَا يَحْيَى ؟ ! !

- يَا أَشْرَفُ -

مَا زَالَتْ بِسَمْتِكَ تُرَاقِصُ
أُوتَارَ الْقَلْبِ الْمَشْدُودَةِ
فِي أَخْطَرِ لَحْظَةٍ
مَا زِلْتَ سَخِيًّا بِالنَّكْتَةِ
لَكِنِّي أَنْتَظِرُ .. وَأَرْنُو
فَهَنَّاك .. هَنَّاكَ حَبِيبَتِنَا
مَنْ تَحْتَ النَّابِ تَبْصُرُ .. تَنْتُرُ

عَرَوْهَا مِنْ ثَوْبِ الْبِسْمَةِ
غَطَّوْهَا فِي بَثْرِ الْحَزَنِ
فَمَتَى تَتَبَسَّمُ سَيْنَاءُ
وَمَتَى تَضْحَكُ يَا فَا الْحَرْقُ وَالْفَيُومُ
وَتَضُمُ الْمَنْصُورَةَ غَزَاهُ
تُرْضِعُهَا ذِكْرَى الْأَمْجَادِ
فَمَتَى نَقْتَصُ لِعَزَّتِنَا
وَمَتَى نَعْبِرُ ؟ ؟ !
قُلْ لِي . . أَحْسِنُ
مَتَى نَعْبِرُ ؟ !

— يَا يَحْيَى . . هَدَى مِنْ رَوْعِكَ
فَالنَّصْرَ حَلِيفٌ مَنْ صَبَرُوا
وَأَعَدُّوا الْعُدَّةَ . . أَوْ أَكْثَرَ
مَا شَوْقِي بِأَقْلٍ حَرِيقًا
فَلَقَدْ جَرَيْتُ خِيَانَتَهُمْ
قَدْ كُنْتُ مَلَاذِمَ طِيَارٍ
حِينَ النِّكْسَةِ
وَرَأَيْتُ الْغَدَرَ بِمَنْقَارٍ
مِنْ نَارٍ . . شَبَّتْ تَضُرُّمَنَا
وَتَحَرَّقُ أَنْدَرُغَ قَوْتِنَا

فى غفوة لحظة

فى خفقة

قد كانت بالأرض تنام

لم تأخذ من غدر حذرا

واليوم الفاصل مكتوب

منقوش فوق خواطرنا

لكن للأمير تدبره

وظروف الحكم تحدده

فالحرب سياسات كبرى

والقادة وحدهم أدرى

باللحظة والوقت الأنسب

* * *

ويرفرف للصمت جناح

وضباب الحذر على القاعة

وتبلق كل الأجفان

وتطير قلوب ضارية

دائرة الشوق على القائد

وزعيم لواء الطيران

وانبثقت أهات اللهفة

فالقائد لم يدخل وحده

بل حثَّ الخطو بجانبه
قائدُ قواتِ الجوية
(حسنى) جاء
هو حسنى
قائد قوتنا الجوية
مدَّ الخطو
ورفع الرأسَ
كانُ سيوفُ الإسكندرِ
وابنِ الخطابِ ، وببيرسِ شُهرتُ
تنتظرُ الوحيَ على فمه
كى تنفخَ فى رُوحِ الحقِّ المتغيرِ
منفوشِ الشعرِ وأشعثِه
وتدقُّ سراديبَ الباطلِ منفوخِ الأوداجِ ،
الزائفِ
زاح (مباركُ) همُ الصمتِ
بأولِ حرفِ
قال (محمدُ) :
(يا أنجبَ منْ ولدتُ مصرُ
يا غصناً من حقلِ نَداها
يا نبضَ قلوبِ عروبتنا

يا فجرأ نسجت أمتنا
قد كنت أتابعُ صولتكم
فى ساحِ التدريبِ اليومى
نبضاً .. نبضاً
حبّوا .. حبّوا
خطّوا .. خطّوا
عدّوا .. عدّوا
ثم نسوراً لا يثنىها أبداً هول

يا أنبائى
قد أعددتُم للمعركةِ
فكنتم خيراً فى أمتكم
هولاً يلتهم الأعداء
.. تتقاذف أسئلةُ حيرى
فتصوغُ الجوُّ استفهاماً
ويصيرُ البحرُ استفهاماً
والرملُ علاماتُ كبرى لاستفهام
(فمتى نعبّرُ ! !)

وأزفُ لكم
البشرُ لكم
قد صدرَ الأمرُ بأنْ غداً

العاشر من رمضان غداً
فى الساعة ألفٍ وأربعمئةٍ
تُطْلَقُ أولُ طلقةٍ حربٍ)

وانفلت هديرُ التصفيقِ
وهتافُ القاعةِ زلزالُ :

قد عاشت مصرُ إلى الأبدِ
تُفْقِدُ بالمالِ وبالولدِ
وجنودُ الحقِ بلا عددِ
ستظهر أرضك يا بلدى

إنّا آتون فلسطينا
عَبْرَ الجولانِ مليينا
فسماء العُربِ بأيدينا
وسنجعل من نصرك ديننا

* * *

وانتظر القائدُ صمتهمو
حتى انسابَ هدوءُ الخاطرِ
فى أفئدةٍ صارت غبطةً

قال القائد :

خُطَّةُ قِوَاتِ الطيرانِ ..
فى أسرابٍ تكتسحون

للقذف . . . ستنتطلق ثلاثة :
فى الثانية وخمس دقائق
سرب يَمْرُقُ فوق الأرض
بخمسة مائة من أمتار
من بور سعيد متجهاً للشرق
على سطح البحر
فى عشرة أمتار علواً
كى لا يُكشَفَ للإنذار
ويطير لعشرين دقيقة
يَقْصِدُ ضربَ مطار (عريش)
ويحلُّق أعلاه تماماً
فى الثانية مع العشرين وخمس دقائق
والسرب الثانى ينطلق
نحو مطار (الميليز)
فى الثانية وربع الساعة
نحو الشرق مباشرة
فى علو الخمسين المترا
ويحلُّق فوق الميليز
فى موعد ذا السرب الأول
فتكون مفاجأة كبرى

أسرابُ الطيرانِ المصرى
فوق الأهدافِ المرجوةِ
فى نفس البرهة تقذفها

والسربُ الثالثُ . . أبنائى

سيكون السربُ المعترضُ

ويقسّمُ قسمين اثنين :

القسم الأول سيصاحب

طيرانَ القذف ليحميه وقت التنفيذ

ويجوب سماء المعركة

ليسيطر فى الجو بسينا

وسيقُلع من فوق الأرضِ

من بعد الثانيةِ وربع

بمسار الطيرانِ القاذفِ

من فوق المنطقةِ الهدفِ

يرتفع إلى أعلى فجأة

وسيملك عنق السيطرةِ

والقسمُ الثانى سيكلّفُ بحمايةِ جوِّ أراضينا

وحمايةِ قِـواتِ تعبر للضفة مقصدها سينا

وحمايةِ طيرانِ العوده

يتولى سربُ الحفناوى

تنفيذ مهمتنا هــذى

* * *

وانكملتُ بهجةً حفاوى
ويغوص الأنفُ إلى الخدين :
لن أسبحَ فوق رمالِ الطور
لن أبذرَ فيها حُلْمَ النور
وأنميهِ ثمارَ حياه
وأباريقَ تشعُّ الروحَ بفجرِ الغد
يا للحسرة !!
لا . . لن أصبحَ أولَ نسرٍ من قوتنا
يقنص بومه
من قوتهم
أغدأ يأتى لستُ الأولُ فوق سماءِ بلادى سينا ؟
لكن . . أبداً
هل أتحسُّرُ وأنا درعُ سماءِ الوادى
وأنا الرحمةُ فوق النيل
وأنا الظِّلُّ للاطفال
وأنا الغيمةُ فوق الحقل ، وأعلى الزارع
وهو يجرُّ خِرَافَ العيد
يضرب فأسا . . ينزع فأسا ،

حين يَقْبَلُ عودَ القمحِ بمنجِلٍ حُبٍّ ؟ !

هل اتحسّرُ

وأنا السُّحْبُ تجوبُ الشرقَ

تجوبُ الغربَ

وتحمي النملةُ فوقَ ترابِ الوادي الأسمرِ

وَمَجَّ النارِ

وَحَرُّ اللّٰفِحِ

تَسُحُّ

تَفِيضُ بكلِ زوايا الأرضِ النشوى

ألفَ أمانِ

لا تقهره أيةُ خدعة ؟ !

فقد أحربُ فوقَ سمائكِ أمى سينا

ثم يفيضُ السيلُ الزاحفُ من قُوتِنَا

يمسحُ . . يكسحُ

كلُ رذائلِ آلِ يهوذا

كالجرذانِ سينصعقون

وسوف يفيضُ السيلُ ويطغى

فوقك غزّةُ

والجولان . . وبيت المقدس

يَبْسُمُ يحيى حين تنبّه أن القائدَ

راح يقول :

يا ابنائى
إنْ عليكمْ ألاْ تَبْقُوا فوقَ الهدفِ
أكثرَ منها : عشرُ دقائقَ
حتى يبقَى فى حوزتكمْ بعضُ وقودٍ
يكفى العوده
أو ما يطرأ كمفاجأةٍ
.. فى عودتكمْ ترتفعونَ لتسعةِ كيلو
كى لاينفدَ غيرُ وقودٍ ليسَ كثيرا
.. يا ابنائى أى سؤالٍ حولِ الخطءِ ؟
ينهضُ يحيى :

إنى أسألُ عن توقيتِ الخُطءِ هذا
لِمَ لَمْ يأتِ صباحاً مثلاً ؟ !
ولِمَ يأتى بعدَ الظهرِ . . وفى الثانيةِ ؟ !

قال القائدُ :
سؤالٌ حسنٌ
إنْ التوقيتُ التقليدىُّ
فى تنفيذِ مهمةِ حربٍ
أولُ ضوئٍ
آخرُ ضوئٍ

وهمو عرفوا أنا نعمل لناورة
ومن الممكن - فى نظرهمو - أن نضربهم
ولذا وضعوا بعض الحيلة
أول ضوء ينتظرون
وأخر ضوء ينتظرون
فكان الموعد فى الثانية
فهمو يشوا من غارتنا وقت الصبح
ولم يتمكن قوادهمو أن يحتاطوا قبل المغرب
وبإمكان النسر المصرى
أن يضربهم أول ضربه
ومن الممكن أن تتكرر قبل سدول الليل القادم
وردار الأعداء معطل
ما جدواه بوقت الظهر
والرؤية تضحى بالعين
والشمس تعامد فى الأفق
فتعوقهم عن رؤيتكم ؟ !
وإذا سمعوا الصوت الهادر
لن يتمكن أى منهم أن يردعكم
أنتم لستم فى مرماه

يا أبنائى . .



قد أحكمنا جَبكَ الخطئة
ليستَ فيها شبهةٌ تُغفره
فلترتاحوا هذى الليلة في نومكمو
فغدأُ أمرُ
أعظم أمر

* * *



[الحية والنسر]

فى غفوته
فوق سريره
شاهدٌ يحيى ألفَ بعوضه
تبو سودا
كلُّ منها لا يحملها غيرُ جناحٍ
وإذا اجتمعتْ فى زاويةٍ
بضعَ دقائقَ
يخرجُ دبُّورٌ أو نطه
ويطاردها
ويشتتها فى الأركانِ
وفوق الماءِ الراكدِ دهرًا
عند نفاياتٍ مُنتنةٍ
ياوى بعضُ بعوضٍ منها

فوق الاشلاءِ المنثورةِ
إئثرَ الحربِ
ياوى بعضُ آخرُ منها
وسَطُ معابدَ كالسردابِ الغارقِ يأسا
ياوى بعضُ بعضٍ منها
تجتمع الثلاثُ جميعاً
فتمزقها بعدَ ثوانٍ أيةُ نحلةٍ
هذى المرةُ
حُشدَ بعوضُ العالمِ كُلُّهُ
ولَهُ أناتٌ وعويلٌ
(وله شنةٌ . . وله رنةٌ)
ظَلُّ يرفرفُ تحتَ الأرجُلِ
يتوسَّلُ
يتوددُ
يبكى
يخدمُ دهرأُ أيةَ نحلةٍ
يستعطفُ كلُّ الملكاتِ
حتى انسجمَ الشملُ الضائعُ منذَ قرونٍ
وسطَ التيهِ
كل بعوض العالمِ شدُّ رحيل الغزو . . تجاه الخُصره

ترك المتن ، والمتعفن ، والمستنقع
ثم تجمّع فى بستانٍ . . ما أبهاهُ وما أشقاه ! !
يرتّع ، يفسدُ كلُّ الثمرِ
وعباً البطن ، وشَحَنَ الفم
حتى تضخّم . . حتى استفحل
ويدا كلُّ بعوضٍ أسودَ
مثلَ الدبورِ وقوتهِ
ثم انجذبَ
اثنينِ . . اثنينِ
ويمتزجانِ
وساحَ وذابَ بنفسِ اللحظةِ
كلُّ بعوضٍ أسودَ كانُ
ونَمَاحِيه
واغوَّثاه ! !
راحت تسعى نحوَ الشرقِ ، ونحوَ الغربِ
تحمِلُ رأساً فى مَقْدِمِها
تحمِلُ رأساً فى أرجلها
ومؤخَّرَةُ الحيةِ رأسُ
قمةُ (إفرست) أو أضخم
ظالت تسعى . .

شربت كل البحر الميت

بل قتلته !!

ويدا كل النحل هراء .. حين راها !!

هل يلدغها ؟ !!

ليس يفيد !!

أكلت كل الشجر الأخضر

حتى المسجد .. لم ترحمه

فابتلته

وظلّت .. تسعى ..

فإلى أين ؟ !

هل من جند ؟ !

ورقاً كانوا !!

هل من نار ؟ !

ليست غير دخان ساذج !!

هل من ...

هل من .. ؟ !

وإذا الشمس انقبض لظاها

وإذا العالم ظل .. فجاءه

ورننا يحيى

بحر لأعلى

نسرٌ كانٍ يملأُ الجو
لا أولَهُ ، ولا آخرَهُ تدركُ عينُ
إنَّ المِخلَبَ من قبضتِهِ
يَقْدِرُ - لو شاءَ بقوته - أن يتناولَ
كُرَّةَ الأرضِ بكلِّ مداها
أو يقذفها نحوَ عطارِد

.. مثلُ جميعِ المذعورين -

رَنَّتِ الحِيَةُ
راحتُ تسعى - هذى المرة -
كى تختبئَ بِجُحْرٍ ما
لم تتَمَكَّنْ
فهى الضخمة !!

وحدى .. وحدى
- يحيى الحفناوى العربى -
لم أتملأ
لم أترددُ أن التصقَ بهذا النسرِ
وأصبحَ شينا من ذراته
حينَ التَقَطَ الحِيَةُ - تسعى -
نَدْتُ منها أَنَّهُ هَمٌّ

تلك اللحظة
انزعجَ الحلمُ ولمَّا يعبرُ نصفُ الليلِ !!

* * *



[الرعد . .]

صُبَّحُ العَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ
التَّفِ الْخِلَافُ الْأَرْبَعُ :
يَحْيَى . . حُسَيْنُ
أَشْرَفُ . . عَادِلُ
حَوْلَ خَرِيطَةِ سَيْنَا الْكَبْرَى
كَيْ يَتَلَقَوْا مِنْ قَائِدِهِمْ
تَذْكِيرَ التَّلَقِينَ السَّابِقِ
وَهُمْوْ أَعْلَمُ بِدِقَائِقِهِ
لَكِنْ سَمِعُوا . . حَتَّى أَكْمَلَ كُلَّ حَدِيثِهِ
ثُمَّ تَوَجَّهَ بِدُعَائِهِ نَحْوَ الْحَفَنَاوِيِّ وَأَشْرَفُ :
أَعْلَمُ أَنْكُمَا الْاِثْنَانِ
نَدَانُ بَزْمِنِ الْكُلِّيَّةِ
أَيُّ فَاقَ الْآخِرَ فِيهَا ؟ !

يحيى قال : فُقْتُكَ يا أشرفُ بكثير
كنتُ الأولَ دونَ منازع
كنتُ السابقَ فى التدريب
يَبْسُمُ أشرف : حقاً كنتُ السابقَ حيناً
لكنْ هذا اليومَ أَعَوَّضُ
سوفَ أَفُوقُكَ فى التصويبِ
وفى الإيقاعِ بآلِ يهوذا
أُتْراهننّى . . أنك يا يحيى لن تُسْقَطِ
أيةَ طائفةٍ غائرةٍ ؟ !
- ولمَ هذا الفألُ الأسود ؟ !
ماذا أفعلُ إنْ لم ألتهمِ الأعداء ؟ !
- سوف يَفُورُونَ بخوفهمو
كيف ستسقط مَنْ لم يصمد للمعركة ؟ !!
- حقاً أشرفُ . . إنْ نِكَاتِكَ لا تَتْلُكُ
حتى لو تهبط ، بمظلة
- أهبطُ ؟ ! كيف ؟ !
هل قد ولد - عزيزى يحيى - من يسقطنى
من طائرتى ؟ !!

* * *

قبل الثانيةِ بلحظاتٍ

كل الطيارين انتظروا
فى طائرة كل يقبع
كى يلتهم رعوس الخوف
كل يقبض باللاسلكى
كى يتسمع أى إشاره
كان الجو ككوب اللبن
تناول يحيى من جدته
- وهو الطفل -

وتجلس تسحب ضرع البقره
كانت (ستك) تحت البقره
تعرف كيف يحن اللبن ويعدو يهوى
نحو يديها
كانت ستك أحكم من قادت بقرتها
بقرة ستك طوع يديها
والطائره الميج - الآن -
طوع يديك . .

وصم الصمت يكلل معصم تلك اللحظه
لا يتردد غير الامل القابع بطلا
فى دقات القلب الصاخب
يحيى ينظر فى ساعته

يحيى ينظر للأسلـكى

رعدٌ ...

رعدٌ ...

رعدٌ ...

رعدٌ ...

صَمْتُ جميعِ الشعبِ العربيِّ

صمتُ أبو الهولِ المتوجِّسِ

صَبْرُ النيلِ وكلِّ ترابِ الأرضِ الحُبلى

هذى اللحظةُ ها قد فُجِّرُ

ذبح سنينِ النكسةِ ذبحاً

خمسونَ ومائتا طائرةً

هَبَّتْ تعصفُ باللاوعى

ترمى الكِذْبَةَ فى الأطلنطى :

كِذْبَةَ جنـدىٍّ لا يُقهر !!

خمسونَ ومائتا طائرةً

فى غمضةِ عينٍ

فى صَعَقَةٍ

نقلتُنا من لا شىء

إلى كلِّ الأشياءِ العظمى

ركبتُ مَتْنَ الزمنِ القادمِ نحو الحلمِ

بتلك اللحظة
نفس اللحظة
ذاك مواقع آل يهوذا ألفا مدفع
صوت واحد
لهب واحد
مبغى واحد
الأحق بغير الحق
ألفا مدفع ظلت تهتك عرض الباطل
ظلت تقمع رأس الباطل
ولدة خمسين دقيقة
قصف .. قصف
رعد .. رعد
نار .. نار
ثم امتد السيل البشرى
جند العرب تمد خطاهما
تعدو
تعبّر ..
نحو الضفة

* * *

ما زال الطيرانُ المصرى
يقطع نحوَ النصر سبيلا
والقائدُ يجلس فى الغرفة
يتتبع (شاشات الموقف)
ومتى يبدو النسرُ المصرى
فوق الشاشة

يضرب هدفا
لكن الصورة بيضاء !!
وجهازُ اللاسلكى مَيَّت !!
لا شىء يعكّر صفو الشاشة
لا شىء ..

يا لك من رادارٍ قاسٍ
لا تتفهمُ فحوى اللحظة
ليتك تدري أن النسرَ المصرى
يقفز نحو يهوذا !!

ربعُ الساعةِ ما قد مرّت
فى الطيرانِ .. ولم تلقطهُ فوقَ الهدفِ
يحطّم .. يحرق .. يصعق .. يَفْنِى
ثم يعود لحضن الوادى

يا لاسلكى

ماذا عندك ؟ ١

قل وتكلم

لو قد كَشَفَ الجيشُ الآخرُ

ما أرسلنا من طيرانٍ

كان تصاعدُ كى يعترضه

بعضُ الطيرانِ المتفطرس

ويدا فوق الشاشة عندك

يا لاسلكى ..

.. لا

لم يحدث

ليس هنالك غيرُ ثوانٍ

يُشرقُ فيها النجمُ المصرى

فوق الهدفِ

وإذا أشرقَ .. حالا تُفرشُ

فوقَ الجوِّ مظلةُ أمنٍ

من طيرانِ الجيشِ المصرى

لن أمرها بالإقلاعِ

إلا حينَ يُصاب المرمى

فى سيناءَ

حتى لا يلتقط رادارُ للاعداءِ

أَيَّةُ عُدَّةٍ
إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ
إِلَّا حِينَ يَحِينُ الْأَمْرُ
لِذَاكَ الْجَمْعِ الْوَامِ خِدْعًا
وَمَوَارَأً

ذَاكَ الْجَيْشِ الشَّابِعِ خَيْبَهُ ! !
فِي غَفْوَتِهِ . . . لَيْسَ يَفِيْقُ
وَسَنُوقِظُهُ - وَهُوَ الْمَيِّتُ -
كَيْمَا يَنْظُرَ لِلْمَلَكَيْنِ
وَيَلْقَى قَمْعَهُ ! !

مَلَكٌ يَضْرِبُ فِي مَيْسَرَةٍ
تِلْكَ الضَّرْبَةِ
تَخْسِفُ جَسَدَهُ

فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ السُّفْلَى
ثُمَّ يَمْدُ الْمَلِكُ الْأَيْسَرُ
سِنَّةً قَمِيحَةً

نَحْوُ ظِلَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى
يَقْبِضُ مِنْهَا شِلْوُ الْجَيْشِ الشَّابِعِ كِذْبًا
كَي - يَجْمَعُهُ جَسْمًا آخَرَ

وَيَمْرُقُهُ

وَيَمْرُقُهُ

وَيَمْرُقُهُ . .

أه . . أه

فوق الشاشة

بَزَغَ النسرُ المِصرى

يَضْرِبُ . . يَضْرِبُ

يَحْرِقُ . .

هذا واحد

ثم اثنان

ثم ثلاثة

مائة تبدو . .

كلُّ يَضْرِبُ

ليس يُقَاوَمُ مِنْ أَعْدَاءُ

فَلْتَصَّاعِدْ فوق سماءِ الحربِ مَظْلَّةُ

تحمى النصرَ العائد فوراً من سيناء

فَلْتَصَّاعِدْ . .

فَلْتَصَّاعِدْ . .

* * *

صدر الأمر إلى الحفناوى
وجماعته
كى يتصدوا للطيرانِ الغائرِ
يأتى فوق الساحل
يَقْصِدُ ضَرْبَ عبورِ الجيشِ
وكبارينا عند الضُّفَّةِ
هذا التشكيلُ رِياعى
فوق مدينةِ بور سعيد
نظرَ الحفناوى بعينه - وهو السابحُ فوقِ الجوِّ -
فراى بُقْعاً تبدو سودا
ثم اتضحت
كانت حَشْداً للطيرانِ الغابرِ . . جاءت
اثنتا عشرة
يا لِلْفُئْمَةِ !!
سربُ الحفناوى أربعة
كيف يقاتلُ هذا الجمعُ
فلو قَدْ نجحوا فى الهائِةِ
ومطاربَتِه
كان النصرُ
لكن . . كيف ؟

كلُّ يفعل ما يستطيع ، ،
أَتَكُونِ الطائِرةَ لمصرى
بثلاث من الِ يهوذا ؟ !
كيف يقاتل ؟ !

«يا يحيى . . ذى الميخُ بطوعكُ
يا يحيى . . فاضربُ وتجبُرُ
يا يحيى . . قد حانَ النصرُ
يا يحيى . . ومقامُكُ أكبرُ
فتقدم ، وانقُضُ ، وقاتلُ
مكتوبُ أنكَ لن تُقهرُ ،

هذا الصوتُ يُردُّ أعلى
من أفواهِ الطيرِ السابحِ
يملا جَوُ الحربِ نعيمًا
فحماماتُ خُضِرُ المنقَرُ
راحتْ تشدو
راحتْ ترقصُ
تَرسُمُ تحتَ الشمسِ هلالًا
ويمنقارِ الطيرِ جِجَارَةً
عَمُ نشيدُ العِزَّةِ يحيى
فانفردَ بأربعةٍ منهم

فیداورهم
ویناورهم
وهم أربع

إِنْ عَدُوَّ الْحَقِّ خَبِثُ
ظَنُوا يَحْيَى غَرِ الْخَيْرُ
فَتَقَدَّمَهُ اثْنَانِ لِأَسْفَلِ
كَيْ يَتَّبِعَ فَيَسْقُطَ بَيْنَ الْفَخِّ وَيَهْلِكُ
أَسْفَلَ يَحْيَى طَيَارَانِ
أَعْلَى يَحْيَى طَيَارَانِ
يَا لِلْهُوَّةِ

لَكِنْ يَحْيَى كَانَ الْأَدْمَى
فَمَضَى نَحْوَ الْأَسْفَلِ يَوْمَهُ
أَنْ خَدَّ يَعْتَهُمْ لِبَسْتُهُ
كَانَ الطَّيَارَانِ وِرَاءَهُ

فِي لِحَظَّتِهِ - غَمُضَةِ عَيْنٍ -
شَدَّتْ يَدُهُ عَصَاةَ قِيَادَةٍ
نَحْوَ الصَّدْرِ

فَعَلَا يَحْيَى - وَعَمُودِيًّا - فَوْقَ جَمِيعِ الطَّيَارِينِ
وَيَدْرُورَتِهِ نَحْوَ الْخَلْفِ تَمْكُنُ أَنْ يَرْكَبَ مَنْ خَلْفَهُ
وَيَفِرُّ الطَّيْرَانُ الْغَائِرُ

لم يتمكُن
صَوْبَ يحيى . . بِحُكْمٍ
يضربُ
سقطتْ إحدى الطياراتُ
واحترقَ الطيارُ الجاهلُ
لأنَّ الباقون بخوفهمو
ولَّوا نحو الشرقِ هروبا
أما البطلُ فلم يتمهلُ فى المعركةِ
لا يتوانى
فلقد مرضَ حسينُ زميلُهُ
فتولَّى يحيى موقعَهُ
قام بطلعتهِ الثانيةِ
وعاد نشيطا
ليس يصدِّقُ من يلمحهُ
أنَّ الحفناوى تقاتل ! !

* * *

فى يومِ المعركةِ الأولى
فى اليومِ العاشرِ من رمضان
طَعَمُ النصرِ لذيذٌ ، حُلُوُّ
فى الأفواه

وَجْهَ النَّصْرِ الْمَشْرِقُ غَطَّى
كُلَّ وَجْهِهِ الْغَمُّ الْمَاضِي
كُلَّ لَيْالِي الْأَسْتَفْزَازِ
كُلَّ رَمَالِ الْأَرْضِ بِسِينَا
وَالصَّحَرَاءِ ...
شَجَرُ التَّوْتِ اهْتَزَّ
وَعَانَقَ غَصَنَ الْمَآنِجُو وَاللَّيْمُونِ
مَوْجُ النَّيْلِ تَرَاقَصَ وَعَلَا
قَبْلَ شَطْآنِ الْقَاهِرَةِ
بَاسَ السَّفِينِ
وَبَاسَ نَسِيمِ الشَّفَقِ الْأَحْمَرِ
طَارَ رِذَاذًا فَوْقَ هَوَاءِ الْوَادِي الْأَخْضَرِ
فَتَنَاوَلَهُ الرِّيحُ الشَّادِي
وَاسْتَنْزَلَهُ :
بَرْدًا ، وَسَلَامًا ، وَصَفَا
يَعْلُو وَجْهَ الْجُنْدِ الْعَابِرِ فِي سِينَا
يَمْسَحُ صَدْرَ نَسُورِ الْجَوِّ مِنَ الْأَعْيَاءِ
هَذَا الْيَوْمُ الْأَوَّلُ نَغَمُ
فِي أَفْنَدَةٍ لِلْأَطْفَالِ بِدَرْبِ الْحُصْرِ
وَشَرْمِ الشَّيْخِ ، وَكَفْرِ الشَّيْخِ

وفى شنوان ، وفى مطروح
وفى الغردقة ، ورأس محمد
فى الفيوم ، وكفر العمدة
فى عَمَّان ، وفى بغداد
وفى مسقط

هذا اليومُ العاشرُ لحنُ
سال بأقواه طفولتنا :
إحنا ولاد المصريين
جينا يا سينا منتصرين
وبرجولتنا ، وبعروبنا
يرجع تانى يوم حطين
حطمنا تحـ صين بارليف
ونحـ رر بكرة فلسطين
إحنا ولاد المصريين

هذا اليوم العاشر غرقُ
ليست فيه سفينة نوح
بل لا تُجدي
إنَّ الأطلنطى قد فاضَ
فهل ينفعهم سدُّ كاذب ؟ !
ماذا يفعلُ بالتورييدِ أشلُ أعور ؟ !

ماذا يفعلُ بالميراجِ الجهلُ الأحمقُ
كانوا وَسَطَ الجوِّ كثيرا
لكنْ مثلَ ذبابِ تائه
يتصيدُه النسرُ المصرى
بين الحَرَقِ ، وبين الطَّرْقِ
يتلقَّاهم رملُ الطورِ الساخرُ منهم
شَلُّوا .. شَلُّوا !!

فى اليومِ الأولِ للحربِ
قد حُرِّقَتْ وانتثرتُ فحما
ستون بأرضِ المعركةِ
ومطاراتُ للأعداءِ : ثلاثُ منها
وصواريخُ الأرضِ / الجوِ
كانت (هوك)
فأضحتُ فَحْمًا !!
ومراكزُ شوشرةٍ كانت
فى أمِّ خشيبٍ موقعها
ومحطاتُ للرادارِ
وهُدِمَتْ فوقِ بنى صهيونِ
فى سيناءَ مراكزُ كبرى
كانت تؤخذُ لقياتهم

يا لَلْمِجِ إذا ما ثارت !!
لكن الميراج الأسرعُ
والأكثرُ حملاً لعتادِ
بل إن الإنسانَ الفيصلُ
وبيده ملكوتُ الجوِّ
لو كان كيحى الحفناوى
عربى القلبِ بإخلاصِ
نيلى البشارة والنبضِ
فالنصرُ له
والنصرُ له !!

* * *

فى اليوم الثانى للحربِ
منذ بزوغ اللونِ الأبيضِ
فوق جبين الإنسانِ
راح الطيرانُ المصرى
يجوبُ سماءَ المعركةِ
ليس يعكّرُ صفوَهواه
«ذراعُ طولى»
منذ اليوم الأولِ قُطِعَتْ
ما بقيتُ إلا إصبعها !!

بقيتُ حيةُ

حتى حين ! !

وتلقَى يحيى والسربُ

أمرأً بالتحليقِ الحر

طلعةِ قنصٍ أعلى سينا

وانتفضتْ دقاتُ القلبِ

وقفز بوجهِ الحفناوىِ دماءُ الشوقِ

حانَ الموعدُ

سوفَ أحلّقُ فوقك سينا

سوفَ أشوفُك من أعلاكِ

سوفَ أرتّلُ حُلْمَ الأمسِ

قنابلَ تصعقُ أهلَ العجلِ

وانطلق التشكيلُ وطينا

كى لا يُكشَفَ بالرادارِ

وانقسم التشكيلُ اثنين :

أشرفُ كان يمينَ محمدٍ

وإلى أعلى - ببسارهما -

قائدُ تشكيلِ الحفناوىِ ومرافقُهُ

حين ارتفع السربُ لأعلى

شاهد تشكيلَ الأعداءِ

سرباً من أربعة كان
للميراج . . تحاول قنصَ القائدِ فجأهُ
لكنْ يحيى كان الأسرعَ
نَبَّهُ ، حذَّرَ
فتلافي الأعداءَ بسرعة
فى دورانٍ . . ونجا منهم
غمضة عينٍ ناورَ يحيى
ناورَ أعلى
كى ينقضُ على الأعداء
فى لحظتها . . قبلَ الضربِ
يلمح يحيى سرباً آخرَ من أربعةٍ
يدخلُ خلفهُ
ليحاصره
يا للمأزق
فهموا أربعُ
وهما اثنان
أصدر يحيى أمراً فوراً
لمرافقه بالدوران لاسفل حَدٍّ
ثم انطلقَ بدورةٍ خلفِ
بمفاجأةٍ للأعداء

فأصبح خلفاً من سربهمو
ضبطاً ونشْناً
أطلق دانه
فى مقتلِ طائِرةِ عدوِّ
فهوَتْ ناراً
والطيارُ الأحْمَقُ يسقطُ
من خيبته بِمِظْلَتِهِ !!
فَرُّ الباقون بجلدهم !!

هذى بسمه يحيى تبرغ
تنشرُ عبرَ سماءِ الحربِ أريجَ بطولهِ
نَفْسُ أعمق يملأ قفصَ البطلِ هواءُ
من سيناء
نَفْسُ آخر
نَفْسُ ثالث

إن هواءَ الأرضِ مُحَرَّرُ
ما أحلاه إذا ما يسرى فى أعظمتنا
فى شريانِ النيلِ الأسمر
قهقهة يحيى حين تردُّ فى أذنيه حديثُ حَارِ
أشرف قال :

— تسبقُ دوماً يا حَفْناوئِ نحو الصيد !!

— أشرفُ . . . أشرفُ . . . أين ذهبْتُ . . .
وهل أسقطتَ عدواً آخر ؟ !!
— فَرُّوا مِنْكَ فَلَمْ أَتَمَكَّنْ أَنْ أُسْقِطَهُمْ !!
أهْ لَوْ وَقَفُوا . . . فَي وَجْهِي !!
— فَعِلْ . . . فَعِلْ . . . أَعْلَمْ هَذَا !!

* * *

فِي كُلِّ سَوِيْعَاتٍ تَمْضِي
يَسْأَقُطُ طَيْرَانُ يَهُودِ
مَفْتَرِشاً نَبْضَاتِ الْأَرْضِ
كُلُّ صَبَاحٍ حِينَ تَصْفِقُ لِلْأَحْرَارِ
(وَتَرْقِصُ عَشْرَهُ) !!
حِينَ تَضُمُّ دِمَاءَ الطُّهْرِ
حِينَ تَشُمُّ دِمَاءَ الْعُهْرِ
الْمُتَلَوْنَ ذُلًّا
يَسْأَقُطُ مَقْهُورَ الْخَاطِرِ
مَنْبُودَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ
سَقَطَتْ مَائَةٌ مِنْ طَيْرَانِ بَنِي صَهْيُونِ
فِي أَيَّامِ
ثَلَاثِ الطَّيْرَانِ الْمُتَغَطَّرِسِ
وَالْمَعْرَكَةِ بِسِينَا حُسِمَتْ

ليس لديهم غير قليلٍ
لا يكفى الذُّودَ عن الأجواءِ بتل أبيب
مثلَ الطفلِ إذا ما افتقدَ اللُّعبةَ يصرخ
مثلَ الذئبِ إذا ما خشيَ الطلقةَ يعوى
مثلَ العذرا إذا ما انطرحت
فوق الظهرِ يقيدها فحلانِ اثنانِ
والفحلُ الثالثُ يتأهبُ
يقتحمُ الأغشيةَ الخجلى
أولَ مرةٍ
تصرخُ . . تصرخُ

كانت جولدا مثلَ أولئك
جِلْدُ الوجهِ المشدودُ بخديها يُفَرَعُ
والشعرُ المَطْلَى بقارٍ
فَرُّ من الراسِ المشحونِ بلاهه
والعينُ الشمطاءُ (بموشى)
غارَت بالجبهة كالعورا
يا موشى فرعونك قادمُ
لن يفرقَ فى عرض البحرِ
لن ينشقُّ البحرُ لتمضى
بل ينشقُّ لكى يبلعَكَ

ما ماتَ الفرعونُ قديماً
 بل يقبع تحت الصفصافِ
 يتنشقُ أنسامَ النيلِ
 يتسمعُ أناتَ سالتِ
 بسواقي الفيومِ
 ويسقى غيطانَ القنّاءِ الصامدِ
 فرعونُ يحملُ مِقْطَفَهُ ، ويردُّ أَلحانَ العِزَّةِ
 فرعونُ - يا موشى - يسبحُ
 فى البحرِ الأبيضِ توربيداً
 فرعونُ يا موشى زورقُ
 فرعونُ فى الأرضِ بسينا
 جنديُّ مشاةٍ يلتهمُكُ
 فرعونُ «تحسين» ، ، وبدوى ، ،
 فرعونُ «صبرى أبو طالب» ، ،
 و«عرايى» ، ، ذو البأسِ العربىُّ
 «عباسُ» ، ، الجبارُ الصاعقُ*
 فرعونُ فى الجوِ نسورُ
 فجُـرَّتِ الرهبةُ فى عمقِكِ
 وافتَضَّتْ من قلبِكِ أملكُ

* هم حسب مواقعهم الآن : تحسين شنن محافظ السويس سابقاً والراحل أحمد بدوى ،
 ويوسف صبرى أبو طالب وزير الدفاع السابق ، والفريق إبراهيم العرابى رئيس هيئة
 التصنيع واللواء محيى الدين عباس مدير الشؤون المعنوية .

فرعونُ : المدفعُ والدَّائَةُ
فرعونُ : الليلُ إذا يغشى
والكَرْمُ ، وبستان المانجو
والطفلُ يناعي قطتَهُ
والشيخُ النيليُّ الطلعه
وفتاةٌ تحضنُ جرَّتَها
وتغنى : (أنا بنت الريفِ
أنا شجره. أنا فُلَّةٌ وقمره
فرعونُ : الروحُ المتنامي
فرعونُ نارٌ ، ودمارُ

فرعونُ الأرضُ المزدانةُ
والفجرُ الناشرُ عنوانه
والزهرُ الراسمُ ألوانه
وتصارعُ يدهُ أفرانه
وقَعَ بالمنجلِ الحانهُ
للتربةِ تخطرُ فينانهُ
أنا خضرهُ وعيونُ نعسانهُ
أنا باسقى الميَّةَ وعطشانهُ
وعيونُ العُربِ اليقظانهُ
وعبيرو يُحيي إخوانهُ

يا جولدا

تبغين المهرب

لا مهرب من أمرِ الجنْدِ

واشتعلَ الحقدُ الأمريكى

واشتطَّ الغيظُ ، وفاضَ ، وزادَ

فكانَ سلاحا

عَوْضَ جولدا

ما فقدتُهُ

بل قد فاقتُهُ

خطُّ للطيرانِ يسيل
من أمريكا حتى أرضِ الحربِ بسينا
دباباتُ والميراجُ
وكلُّ ذخائرٍ للأسلحةِ
وطيارون
ومالُ فاضٍ بأيدي جولدا
لكنَّ المعركةَ عزيمةُ
فالجيشُ المصريُّ تقدَّم
ويُصِرُّ بأنَّ يبقى الأعلى
رغم قليلٍ من أسلحةِ
لا تتجاوزُ حَدَّ الحاجةِ
ظلُّ الفردُ هو الطائرةُ
ظلُّ الفردُ هو القنبلةُ
ظلُّ الفردُ هو الدبابةُ
تكسح كلَّ عتادِ أمريكا !!!

* * *

فضياء الدين الحفناوى
ما زال بأحضانِ الميج
قنبلةُ خلودٍ لا تُفْنَى
قنبلةُ تُقْتَلُ ، لا تُقْتَلُ

والميجُ تبارك قُوتُهُ
ورقيقُ مقودُها معه
يعشقه ، ويلبى حُلمهُ
فالميجُ - الشرقية - تدرى
أن ضياءَ ابنِ الشرقِ
الميجُ - الروسية - تكرهُ
ميراجَ الغربِ وصنعتهُ
هى لا تتأقلُ أن تقمع
أنفَ الميراج ، وتبتَرهُ
هى لا تتردد ، لا تخشى
أن تقذفَ نيرانَ الحقِّ
وضياءُ يعشق طائرتهُ
وبحكمةٍ يدهِ قد فاقت
عشراتٍ من صنعِ أمركا
يا فخرَ الطائرةِ الحُرّةِ
لو مَسَّ ضياءُ مقودها !!

طلعاتُ أربع

- فى اليوم -

ما ملئتُ منه حبيبتهُ

ما كلتُ يدهُ ولا راسهُ

ما ارتعشت رجُلُ الحفناوى
ما اهتزَّ القلبُ ولا العين
فى الجزء الأوسطِ من سينا
يتبخر يحيى فى ثقةٍ
قربَ الشمس
وفى إحدى الطلعاتِ تراءى
لعيونِ السربِ المصرى
- سرب الحفناوى وأشرف -
تشكيلُ للفانتومِ قادمُ
يترصدُ ضربِ مواقعنا شرقَ الضفة
والفانتومُ جبارُ ماردُ
قلعةُ طيرانٍ متحركُ
آخرُ ما أنجبَ عقلهمو
فى علمِ الحربِ وتخطيطه
والميج ، مع يحيى اختلَّتْ
عجلاتُ الخلفِ بها سقطت
- أجزاء منها تتدلى -
فالسُرعةُ تبطئُ لن تقوى
لمواجهة جنونِ الفانتومِ
لم يرجع يحيى الحفناوى

كى يصلح من شأنِ الميخ
ورأى أن الحربَ قيادهُ ،
علمُ ، إيمانُ بالمبدأ
فتصدى - والسرب وراءه -
لعدوٍّ تمتُ عدتُهُ
ما بين الكرِّ إلى الفرِّ
ما بين علُوٍّ ودُنُوٍّ
اتضحَتْ أنباءُ الحربِ بين السرب
والفانتوم وقعت بالمأزق
لن تقوى أن تدفعَ غولا
مصرياً . . شوكتُهُ الحقُّ
فانطلق الطيرانُ الغادر
للشرقِ يطاردُهُ الذعرُ
وسحاباتُ الخوفِ تُلْفُهُ
لم يرحمُ يحيى ذعرهمو
لم يقنع بغنيمةٍ نصرٍ
لا يسقطُ فيه لهم فانتوم
فتتبَّعَ إحداها وحدهُ
ودمَاءُ الخوفِ المهزوم
تستشرى فى جسمِ الهاربِ

فتمنى لولم تشهدهُ
أزمانُ يشهدُها يحيى
وتمنتُ طائرةُ الفانتوم
لو كانت فى اللحظةِ خُرْدَةً
أو صخراً فى حُضنِ الطور
أو لعباً فى إصبعِ طفلٍ
يتشيطنُ فى وادى خوف !!

والطيار الهاربُ يهرب
ويلحقهُ الصاعقُ يحيى
ويلحقه
حتى اخترقا حَدَّ الصوت
وقلوب الجندِ المصرى
فى أيديهم:
يا الله ::
يا الله ::
انصر دينك ::

ويصوبُ يحيى الحفناوى
فاذا بالفانتوم أشلاءً
فوق مواقعَ جاءتْ تبغى أن تضربها !!
وَعَدَا يحيى نحوَ القاعدةِ المنتظرةِ

كيما يهبط
ويريح حبيته الميج
لكن في عجلتها اليمنى
كانت علته
ليست تنزل
حاول . . حاول
لم يتمكن
دارا . . لفأ
لكن الرومتيزم تمكّن
في يمنى الطائرة الميج
يستعطفها
كانت أعجز أن تتماثل لاستعطافه
ظلت تبكى من علتها
تبكى للهجران وقوداً
ليست تحفظ غير قليل
والحفناوى يلف يلف
فوق الموقع كيما يهبط
لا يتمكن
أمر القائد أن يتنازل عن طائرتة
يهبط فوراً بمظلتها



يساقط دمع الحفناوى
فوق المقود
وعلى الكرسي
ينظر كل جزيء فيها
بلمسه . . يتنسم
يستنشق عطر محركها
ويقود حبيبته الثكلي
شرق الدلتا
حيث خلا . . كي يدفنها
يقفز يحيى بمظلاته
يستقبله الزهر الباسم لحياء
تمد الأرض له يدها
فيعانقها
وتعانقه

* * *

[علوان]

لا ينقطع دُخَانُ النصر
بمصرعٍ ميج الحفناوى
بل يزدهرُ الجوُ ضياءُ
فى عينى عبده علوان *
وهو يعانق فى غبطته
هذا الضبع الأسود (سام)
كرة الأرض - بكل مداها - فى قبضته
سبعة الجو - السابح فوق النار - جميعاً فى

قبضته

نظرة علوان تترددُ فى طبقاتِ الجو زلازلَ

* عبده علوان : هو محمد رمضان عبده علوان . ولد فى مايو ١٩٤٩ بعزبة مارون التابعة لقرية سيدي غازي بكفر الدوار - البحيرة - وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجيش - سلاح الدفاع الجوي - وتدرّب على القائف (سام ٧) المسمى بالضبع الاسود

أَيْنَ الْقَنْصِ ١٩

عدة أيام قد مرّت

وذبابُ الأعداء تساقطُ

من نفثاتِ النصرِ العربيّ

ليست تجرّو أيّ ذبابة

أنْ تتقدّم

— يا سامُ تمهلْ لا تقلقْ

فالقنصُ أكيدٌ لن يُفقدُ

بل ترقصُ داناتك برّه

وهي تفتُ بعظمِ الفانتوم وتغرّبلُهُ

— يا رمضانُ . . مللتُ الصمتَ

والذبابةُ تكسحُ . . تمضي

والمدفعُ يتباهى أنى لستُ أقارنُ بضخامته

فمتى أثبتُ أنى الفتاكُ إذا أطلقُ

ومتى اتنفس ذلُّ حطامِ الميراج

المنثور هباء

يا رمضانُ . . ادفعنى ، أطلقْ

الثامنَ عشرَ ، وفى وسطِهِ

ساقُ الحَيْنِ الفانتوم . . أربعُ

حامت حولِ الموقعِ حَوْماً

لَفُتْ حَوْلَ صَوَارِيغِ مِصْرِيَّةٍ
هَبَطَتْ قُرْباً مِنْ بُغْيَتِهَا
مِنْ قَاعِدَةٍ ، لَتَفْجُرَهَا
كَانَ الضَّبْعُ الْأَسْوَدُ أَسْرَعَ
نَشْنُ عِبْدِهِ
أَطْلَقَ . . . اسْقَطَ
سَبَحَتْ طَائِرَةٌ فِي دَمِهَا
هَرَبَ الْبَاقُونَ بِخَزِيهِمْ
حِينَ ابْتَسَمَ الضَّبْعُ الْأَسْوَدُ
كَانَ مُحَمَّدٌ يَتَسَمُّ مِثْلَهُ
يَرِبْتَ فَوْقَهُ
وَيَقْبَلُهُ
يَمْلَأُ مَعْدَتَهُ بِالْذَّائِنَةِ
يَسْتَمْلُهُ كَيْمَا يَرْصِدَ صَيْدًا آخَرَ

بَعْدَ دَقَائِقَ
كَانَ الْمَوْجُ السَّابِحُ أَعْلَى
يَأْخُذُ بِالْقَلْبِ وَيَعْصِرُهُ
هَذِي الْمَيْجُ تَقَاتِلُ زَوْجاً
لِلْمِيرَاجِ أَرَادَ الثَّارَا
تَعْلُو الْمَيْجُ . . فَلَيسَتْ تُقْلِتُ
تَهْبِطُ ، تَسْبِحُ ، تَعْدُو

ظَلْتُ بَيْنَ الْمِرَاجِ وَمِرَاجٍ
 لَا تَقِيضُ فِي ذَيْلِ الْأَمَلِ
 عَبْدَهُ حَائِرُ
 كَيْفَ يَمِيزُ وَيَطْلُقُ دَانَهُ
 وَالطَّيْرَانُ يَقْلُبُ بَعْضُهُ
 فَوْقَ تَحْتِ
 تَحْتِ فَوْقِ
 كَيْفَ يَنْشُنُ ؟ !
 وَدُبَانُ يعلو . . يَصْأَعِدُ
 يَمْسِكُ بِالْمِرَاجِ بِيَدِهِ
 يَقْذِفُهَا فِي سَابِعِ أَرْضِ !!
 يَفْرِكُهَا بَيْنَ أَنْامِلِهِ !!
 وَالْمِيجُ تَدَاوَدُ وَتَنَاورُ
 كَادَتْ أَنْ يَدْخُلَهَا الصَّمْتُ
 مَا بَيْنَ الْبَرْهَةِ وَالْبَرْهَةِ . .
 انْقَضَ الضَّبْعُ بِدَانَتِهِ
 لَمْ يَتْرِكْ بِالْمِرَاجِ صَدَى
 لَا يَبْدُو غَيْرُ صَفَانِحِهَا
 وَالنَّيْرَانُ اقْتَاتَتْ مِنْهَا
 قَرَّتْ عَيْنَا

والميراجُ الأخرى فَرَّتْ
مثلَ فرارِ الدمعِ الباسمِ
من عينيَّ عبده علوان
وهو يغدِّي الضبعَ بدانة
ويقبِّلُهُ ..

زلزلَ صوتُ مراقبِ جوٍّ :
«يا علوانُ .. هنالك هَجْمَةٌ
يدنو .. تدنو

طائرتان
فُفَّتَحَ عَيْنَكَ ، ،

قبلَ نفاذِ الصوتِ انقضتْ
إحدى الطائرتين قريبا

من موقعِ علوان ، وزاغت
ظننتُ أنَّ الأمرَ نجاحُ
ثم تعود بحملي دمارٍ
فتوزَّعه

ظننتُ أنَّ الضربَ مباحٌ دونَ الردِّ
هذا الطيار بطائرته
يتنفسُ في عمق أكبر :
نجحتْ ضربه

كنتُ أطاردُ طولَ اليومِ

وكنْتُ الهاربَ
أما الآن فإني أفخر
صِدْتُ صواريخاً مصريه
رفع يديه . . لتلمسَ ذقنه
وتداعب خصلات الشعر
قبل وصول يديه إليه
كانت ضربه عبده وصلت
فاخترقت طائرة الفانتوم
فى برهات كان الطيار المتدللُ
يسقطُ منها بمظلته
بين الأسر ، وبين الذل
فعدا عبده يتلقاه
بالبسمات وبالتهنئة !!
للإفلات من التفتيت
من الإعدام المتلصص فى الضبع الأسود
يدفعُ عبده بالطيار إلى موقعه
بين الأسرى . . يشبهُ بقرة
هذا البقر أسوقُ أمامي
نحو الغيط
هذى بقرة عمى مرعى أسمنُ أكثرَ

من بقرتنا
فلها حق .. بقرتنا واحدة
تحرث .. تجرف .. تتحمل عبء الساقية
تنجب ذُكرانا وإناثا
نشرب منها حلب الصبح
ليس سواها من يسقينا
بقرة مرعى إحدى البقرات
المربوطة في الدوار .. لعمى مرعى
ترعى .. تأكل في أفدنة
صبراً يا بقرتنا صبرا
فغداً يصبح لابنك شأن
مالك يا مأسور تناور
امض يمينا
امض شمالا
قف بمكانك
هذا يا قائدنا .. واحد
من أسراي

* * *

«فانتوم .. يا علوان .. فانتوم» ،
تَقْصِدُ قَاعِدَةً مِصْرِيَّةَ
جاءت خلسة

معها أربع
قبل دخول النفسِ الثاني
فى رنتيه
كان البطلُ أعدُّ سلاحه
أطلقَ دانه
فَهَوَتْ فانتوم نحو الرملِ
تَدْفِن فيه بقايا عدمِ
سبقتْ قائدَها للأرضِ
فتلقفهُ عبده نَشْطاً
عينُ فى خضرة برسيمِ الحقلِ الغريبِ
شعرٌ مثلُ سنابلِ قمحِ
ترجوا المنجلَ قبل النورِ
لوز القطن يشابه وجهه
أو طيار هذا يَقْتُل ؟ !!
ويهوديٌ يزهو بين العالم طُراً بشجاعته ؟ !!
أهو صقرٌ ؟ !!
قل - لو تعرف -
بنتُ أنتَ أم سيده ؟ !!
- يا عربيُّ . . كفانى ذُلاً
إنُ الفانتوم لم تنفعنى

إنى أمريكى جنتُ
لكى أقتلكم . . لم أتمكُن
قَدْرِى أسود !!
- مِمَّ تخشى . . أنتَ برِعهْ .
سوف تعيش عزيزا فينا
دون إهانهُ
ما دمتَ الآن بلا خطر
إنسانا تحيا فى سِلْم

* * *

حين ارتعشَ اليومُ الخامسُ منذُ الحربِ
وبدا يقبلُ ليلُ صِداه
وتلف الكونَ ملائِئهُ السوداءُ بحُكمِ
كان محمدُ أسقطَ خمسا
فانتومَ ، مِراجَ ، سكاي هوك
يَحْرِقُ خمسا
شهمُ من سيدى غازى
- كفرِ الدوارِ - بمفردهِ
وبقلبٍ من طمى النيلِ
ودماءٍ من ماءِ النيلِ

وابنُ الفلاحِ المتغطى بالسُّترِ
 من البردِ الشتويِّ
 بالسُّترِ من الحرِّ الصيفيِّ
 الجوعانِ إلى كلِّ اللذاتِ الحلوةِ
 إلا الصبرِ
 الشبعانِ من الوجدِ إلى يومِ
 يحيا فيه كإنسانِ
 ابنِ الليلِ ، الويلِ ، الموالِ الملفوفِ
 بالسَّنةِ الساقيةِ . . تدورُ ، تدورُ
 ويجنى دمعَ العينِ سواها
 هذا الولدُ ابنُ الفلاحِ
 يُسْقِطُ خَمْساً من طيرانِ الجيشِ الغادرِ
 يا (أم محمد) . . قَرِّى عَيْنَا
 قد أنجبتِ الولدَ الولدَ
 هُزِّى النصرَ فيُسْقِطَ رطباً
 فإذا كان جنياً . . كانُ
 فالتهميه
 إن لم يَبْدُ جنياً . . .
 أيضاً . . فالتهميه !!!

* * *

[راشيل]

«راشيلُ ، ، ترشُ السَّحَرِ على روفى ، ،
يصْأعدُ من ساقِها النور
وينصبُ على عيني روفائيل
ويسبحُ فوق بلاطِ الحصنِ
وفى الحجراتِ
على الصدرِ اختطَّت جناتُ
لا أولَ فيها ، لا آخرَ
من يدخل لا يخرج أبدا
من يخرج لم يخرج حقا
ماذا يعنى مقلبُ موتٍ
فوق الحصنِ
إذا كانت راشيل تغنى :

موهوبٌ قلبي يا روفى
 فاضنمُ نبضاتِ تهواكُ
 ما زوجكُ أحسنُ من عشقى
 إنى اشتاقكُ ، ولهيبُ
 لا تهربُ ، إنى أتبعكُ
 ليديكُ فلا تعبتُ فيه
 إياك تخون وترميهُ
 وجمالِ عيني تحويه
 بفؤادى جابَ نواحيهُ
 ومنَ غيركُ لهبى يطفيةُ ؟

— يا راشيلُ . . الحصنُ تهدمُ جنبُ منه

من أعلى ضربُ الطيران

بالجنبِ هديرُ مدافعهم

لا ماء بحصنِ الفردانِ *

لا نورَ . . انقطعَ التيار

حتى التليفونُ بلا نبضِ

ما معنا غيرُ اللاسلكى

يتوالدُ ضربهمو ضربا

وهجومُ قربِ الأبواب

— أتخافُ الموتَ ؟ . . أنا معك !!

— لا أخشى . . لا أخشى الموتَ

فقد متنا لثلاثِ ليالٍ

«جونين» ، - له اللعنةُ ! - قال :

« تأتيكُ النجدةُ » ،

* حصن الفردان : موقع شرق قناة السويس ،

لم تأت
قد أكَّدَ مراتٍ أُخرى
يكذبُ .. يكذبُ
منذ دقائقٍ فى اللاسلكى قال واكَّد :
« عسافُ أت بلوائه ، ،
- لا يكذبُ قائدنا أبدا
النجدةُ عن قربٍ تأتى
عسافُ رجلُ ذو بأسٍ
سيفكُ حصارَ الفردان
وسيضربُ فى العمقِ المصرى
- فلتستمعى .. هذى النجدةُ فوقَ الحصنِ
قنابلُ تفتُّك !!
لن ننتظرَ وصولَ معونه
يا راشيلُ نَسَلَّمُ نَسَلَّمُ
صوتُ المصريينِ تعالى
فى صيحتهم شىءُ ما
إنَّ الحصنَ يَدَقُّ .. يَدَقُّ
وينادون بأنْ نستسلم
لا عسافُ .. ولا دبابه
قدمتُ حتى الآنَ إلينا

- يا روفى . . لا . . لن نستسلم
 مُرْ رَامى رشاشك يضرب
 والمدفعجى مره يضرب
 حتى نفلت منهم حيناً
 سوف يجيئ لواء صاعق
 دبابات أقوى منهم
 ويلفون الموقع لَفْأً
 من خلف جنود الأعداء
 والطيران سيضرب معهم
 - فَوْهَةُ المدفع سَدُّوها

والرشاش

ماذا نفعل بالدانات ؟ !

* * *

عرفة * يطرق أم الباب :

افتح فوراً يا صهيونى

ولك الأمن

افتح فوراً . . لا تتلكأ

اضرب لو تتباطأ برهه

- أَلنا الأمن . . ولسنا نُقْتَل ؟ !

* الرقيب إبراهيم أحمد حسن عرفة من الجيش الثانى .

— لن نقتلكم . . افتحْ افتحْ
— فلتنتظروا . . كى أجمعَ جندى
... وأسلّم . .

(يا رفقائى . . إنا لن نترك أنفسنا
فى قبضتهم . . بل نخدعُهم
أنا نفتح باب الحصنِ
فإذا دخلوا قتلناهم
فلتصطفوا بينادقكم)

إنى أفتحُ هذا الباب
فلتتقدّم لتأمنّنا

حين انفتحَ البابُ انطلقتُ
قنبلةً من غازٍ
كفّت رؤيةَ أهلِ الحصنِ جميعا
عرفه أطلّق من رشاشٍ
دفعه نارٍ
قُبِض الحصنُ ومن بالحصنِ
وخرُوا فوق الأرضِ ركوعا
رفعوا الأيدي

كانوا صيداً ليس بسيطا
ومضى أحمدُ يتّبعُ إبراهيم وعرفه

وأمامهمو الأسرى دُبُوا فى قيدهم
راشيلُ العاريةُ تبصُّصُ
مثلُ النارِ تذيبُ الصداً من الوجدان
يرنو المصرى
لا يتحركُ فى عينيه دبيبُ الشهوةِ
شدُّوا سترأُ من أحدهم
ستروا عوراتِ الغانيةِ

* * *

عرفهُ يقبَعُ أعلى هضبةِ
والمنظارُ يعانقُ صدرهُ
راح يفضُّ الظرفَ . . ويتلو
يُسْمِعُ رملأُ يرقد فوقه
تتلو الشَقَّةُ ، يتلو القلبُ ، وتتلو العين :

«زوجى عرفهُ . . يا أمنيتى

منذ العرسِ - وحتى الآن - مرُّ علينا الشهرُ ويوم - لم
أتمتع منك - حبيبى - غيرَ ليالٍ ثم مضيت . طالَ الليلُ وطالَ
الشوقُ ، ويغمرنى - وأنا وحدى - حُلْمٌ .. حُلْمٌ . . أخجلُ
أنْ أذكره !! حُلْمٌ أنكَ فى أحضانى وأقبلَكَ وتقبلْنى
ويفيضُ الشَّعْرُ على وجهك . . تتشَمَّمُهُ وتمسحُ وجهك ، بل
تتركُهُ بين شعورى . . أنتِ تُنْقِرُ فوق الخدِّ بأصابعك ، وأنا

أضحكُ فى تسبيلٍ . واستسلام - ليس هزيمة ... »
يا للرعْد .. هزيمة مَنْ
هذى طائِرةٌ مصريّة
تضربُ فانتوم
سقطتُ .. سقطتُ فى الهاوية
« ليس هزيمة .. وأضمكُ فأضمُ الفرحة .. واللهفةُ تربو
تأخذنى من حضنك نحوكَ .. زوجى عرفهُ . كم أستيقظُ وأنا
أعرف أنك تغفو بين يديّ ، فإذا أنتَ بعضُ هُدُومٍ
ومخدراتٍ !! .. لا أشتَمُك بل أهواك .. وأشرحُ لحظه ..
من أيام لا تتقدم لا تتأخرُ بل واقفةٌ عند لقاء .. حين .. حين
تعانقتِ الأحلامُ فإذا أنتَ وروحي ننجبُ هذا البَذَرُ ببطنى
يلهو .. إننى أحملُ منك حبيبى فأنا الأمُ وأنتَ أبوه .. فمتى
تأتى لتباركهُ فى أعماقى ؟ .. أمك حين ترى طائِرةً تنظرُ أعلى
وتنادينَا كيما ننظرُ فعسى يبدو وجهك منها - ثم بسيدى العجمى
تقسمُ أنك فيها ، وقد حيّيتَ ، رفعت يديك وشافت
بَسْمَكَ والرِشاشُ حليفُ يمينك : ... قام أبوك - بنصف
الليل - ويجلسُ تحت العنبة وحده .. يرفع يدهُ بذراعيه ويرفع
وجههُ .. لا أتبينُ صوتاً ما .. ثم يعودُ إلى مصطبتك ..
عرفهُ زوجى . إن أخاكَ محمدُ يابى أن يستذكَرَ أى دروسٍ
يطلب أن يأتيك ويبكى أن نمنعه . قل لى عرفهُ

ما يقنعهُ .. ولك حبى ..

.. زوجك ليلى .. ثالثَ عشرَ من رمضان ..

أحمدُ يجترُّ الكلمات

ويردُّدها للبسمات

يستنشقُ نفْساً أوْلَهُ رفعُ المنظارِ

إلى عينه

فى آخرِهِ كان لواءُ الدباباتِ

وعسافُ يتقافزُ عَدُوًّا بمقدمته

عن بُعدٍ قَسَمَهُ ثلاثا

ليطوِّقَ من خَلْفِ ..

يهجمُ فيفكُ حصارَ الفردانِ

ويعودُ لبارليفَ الحصنِ

والطيرانُ يدعُّمُ جندَهُ

لكنَّ الخطَّةَ قد سَفَرَتْ

كَشَفُوها أسرى الفردانِ

فتحصَّنَ عِرفَهُ بجنوده

وتخفَّتْ بنقاطِ أخرى

دباباتُ المصريين

وتموَّهتِ التحصيناتُ

لم يُعَرِّبْ تصويرُ الفانتومِ

عن أىَّ وجودٍ للقوة
وتقدّم عسافُ ثقةً
يتبخترُ ويُنَبِّهُ جندهُ
ويؤكد : ذا الجوّ صفاءُ
أنُ المعركةُ لمحسومةُ
سيحطّمُ قوّةُ أعدائهُ
ويعود لبارليفَ الحصنِ
وسيعبر للجهةِ الأخرى
ويلفُ الجيشُ من الخلفِ
لا شك . . الخطّةُ ناجحةُ
لا . . لا يبدو . .

من أين . . من أين انقضّ الطيرانُ
ويهاجم طيرانى . . يضربُ
يا . . يا . . يا . . ما أغربهم !!
وأمامى . . من أين أتوا !
ما كانت توجد قوّة
لا . . فلنضربُ . . لا أحدُ يستسلمُ منا
النجدةُ . . النجدةُ
حوصرنا

فلتسرّعْ يا شمويلُ لنهرب فى عربتنا

قد نتداركُ ما يمكننا
— إنُ العربية ليست تُمضى
قُطع السيرُ
وقد بُلغْتُك !!
دعنى أهربُ وحدى . . وحدى
« سَلِّمْ نفسك يا جندى
عرفهُ يصرخُ فى عساف
عرفه ينذر :
سَلِّمْ نَفْسَكَ ، وارمِ سلاحَكَ ، وارفع يدَكَ
— لا للقتل . . سوف نُسَلِّم
ها . . سلمنا — لا تقتلنا
يا جندى أراك شجاعا
وتحدثنا الانجليزية بطلاقتك
ما أشجعك . . واين الـ . . .
(شَدُّ مسدسهُ فى برهه
يقصد قتله)
لكنْ عرفهُ كان الأسرعُ
أدركَ أَمْرَهُ . . لم يمهلهُ
ولم يقتله ، ولم يتركهُ
ضربَ سلاحَهُ

سقط مسدسُهُ من يديه دون إصابه
عبثَ الخجلُ بوجهِ خائنٍ
- يا عسافُ . . عيوني يقظى
سلمَ عرفةَ كلِّ الأسرى
لزميلين . . ثم تحرُّكُ
بعد ثوانٍ فُجِرَ لغمُ
غَطَّى وجهَ الشمسِ ثوانى
ثم انجابَ
كان البطلُ المصرى
عرفه . . شهيدَ اللحظة

* * *

فإذا سالَ دَمٌ من عربى
لَفَّ شفاهُ الرملِ ورؤى صباحاً
ظماناً للرؤية ،
كفَّنَ فى بصقاتِ الرملِ أكاذيبَ
افترعتْ عذريةَ وجهِ الحق
وشقتْ صدره

ما الفانتوم أضحتْ سيده
فى جَوِّ يقبعُ تحتِ رداءِ رؤاهُ
المصرىُّ على مدفعُ

أوصاروخ
فلقد أمرَ الجيشُ الخاسرُ كلَّ الطيرانِ المنهزمِ
بالأُ يقربَ شرقَ الدلتا
لكنُ كتابُ مصرِية
تنتقلُ إليه بسيناء
حلمى * . . . يدفعُ بكتيبتهِ نحو الداخلِ
ويهزُّ الجوُّ بداناته
لكنُ الطيرانُ يهاجمُ . . ويحطُّمُ بعضَ سراياه
ويُصابُ الجندُ إصاباتٍ
ونزیه لا يرهبُ غدرأ
تساقطُ نارُ من أعلى
تصاعد نارُ من أدنى
يتلقى حلمى قصفاً من داناتٍ مدافعهم
والقصفُ الجوى يثنى
وتظلُّ كتيبته تردُّ
تنثرُ جوَّ الحربِ فناء
عشرأ أسقطها من فانتوم

* المقدم نزیه محمد حلمى على حلمى قائد كتيبة دفاع جوى .. ولد بمدينة دمنهور فى ١٣ مارس ١٩٤١، والتحق بالكلية الحربية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٩ .

* النقيب أحمد محمد السعيد عبد الباقي ، الحاصل على وسام نجمة سيناء .
ولد بالنصرة أول ابريل عام ١٩٤٩ .. وبعد تخرجه فى الكلية الحربية قاد فصيلة دفاع جوى .

تُتلى بثلاثِ غائرةٍ

وفصيلةُ أحمدَ * صامدةُ

ليست أكثر من إيمانٍ برجولتهم

ليست تبغى غيرَ جناحِ سلامٍ

يُولد في أكنافِ العدلِ الأبلقِ

عبد الباقي ، ليست عينٌ - قد ودَّعها

في نيرانِ القصفِ الثائر - تمضغُ بأسا

فإذا كانت عينُ ضاعتُ

قلبُ العادلِ ينظرُ أعمقُ

حُبُّ العاشقِ للحريةِ يبقرُ بطنَ

الدُّمسِ العابثِ كلُّ مساءٍ

عبد الباقي بفصيلتهِ

يُسقطُ خمسا من طيرانِ الفانتوم تهوى

لا يتخلى عن معركةٍ عاشت به

قد عاش لها

فالعينُ تغادرهُ خلسةً

يرفضُ أن يَقْطُنُ مستشفى

فإذا اعتصرَ الألمُ الرأسَ

* النقيب أحمد محمد السعيد عبد الباقي ، الحاصل على وسام نجمة سيناء .

ولد بالمنصورة أول ابريل عام ١٩٤٩ ، وبعد تخرجه في الكلية الحربية .

قاد فصيلة دفاع جوى .

ضَمَّ الرَّأْسَ بِيَدِهِ وَهَبَ

يَنْظُرُ جَنْدَهُ

عَبْدُ الْبَاقَى - رَغْمُ زَوَالِ الْعَيْنِ الْيَسْرَى -

بَاقٍ . . . بَاقٍ

عَبْدُ الْبَاقَى فِينَا بَاقٍ



[عودة]

يا بْنَ خديجةَ
يومُكَ قرنُ
والجوعُ يُغَذِّيكَ الصبرُ
نَهْدُ خديجةَ لا يسقيكَ اللبنُ . . فجفَ
لكنْ يسقى عودَكَ عَزْمَا
يُرْضِعُ شِفْتَكَ فيضَ الثَّورِ
كان المولدُ حُضْنَ الأسْرِ
ستهُ أَعْوَامُ تَنْتَظِرُ
بريقَ الشمسِ بِسَعْفِ النخلِ
ستهُ أَعْوَامُ - عَمْرُكَ - ما بُورِكْتَ بطمى النيلِ
وما لبستُ عيناكَ هَوَاهُ
لا تحزنْ يا «نصر» ، فأُمُّكَ قبضةُ رملٍ من

سيناء

أنتَ البَذْرُ الناضِجُ فيها
يا نصرَ خديجةً . . أنتَ تعودُ
تعودُ الآنَ من الأسرِ

يا بلادَ الرُّوحِ عدنا من نِّيَّاتِ الليالى
فاستردِّينا لفجرٍ من غُضُونِ الأسْرِ خالٍ
وازرعى الأشجارَ فينا وانثري عِزَّ الظلالِ

يا نصرُ تفيضُ بأحلامٍ
قد جازتُ حدُّكَ
واستلقتُ فى كلِّ الخطواتِ
هُياماً

فى صبحِ أشرق - فى نظركَ -
والتهمَ الأَمْسَ بلا عودةٍ
وتعودُ إلى مصرَ . . وأُمِّكَ
تأخذُ يدَكَ وتخطوبُكَ . .
فإذا أنتَ بلا أصداء !!
وإذا الصبحُ مجردٌ ومضى
ذابتُ . . ذابتُ

أَيْنَ وَكَيْفَ ؟ ! !

فَلَيْتَكَ تَدْرِي ! !

وَخَدِيجَةُ أُمُّكَ تَصْحَبُكَ

نَحْوَ النَّيْلِ . . فَأَنْتَ غَرِيبٌ

نَحْوَ الْجُرْنِ . . فَأَنْتَ غَرِيبٌ

نَحْوَ الْعُشْبِ . . فَأَنْتَ غَرِيبٌ

غَيْرُكَ يَأْكُلُ مِنْكَ الْآنَ

وَأَنْتَ تَجُوعُ . . تَجُوعُ . . تَجُوعُ

تَأْخُذُ أُمُّكَ - لَا تَأْخُذُكَ -

نَحْوَ قُبُورِ الصَّدِّيقِينَ :

- مِنْ قَدَمَاتِ بَغِيرٍ وَدَاعٍ -

تَذْرِفُ دُمْعُهُ ! ! !

* * *

حزین عمر (۱۹۸۸/۱۱/۳۰م)

منتدی سور الانزبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

وشكر

(بدأتُ كتابةً هذه الملحمة فى الساعة الثالثة وخمس
وثلاثين دقيقةً من صباح الخميس ١٥/١٠/١٩٨٧ م ..
وانتهيتُ منها فى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة ظهر
الأربعاء ٣٠/١١/١٩٨٨ م

وأقدمُ فيضاً من الشكر إلى صديقى العزيز المقدم علاء
الدين جرير ، الذى زوّدنى بالمراجع التى تطلّبُها الملحمة .)

حزين عمر

صدر للشاعر

— فصل من التاريخ الخاص (ديوان شعر)

عن هيئة الكتاب يناير ١٩٨٩

وله تحت الطبع

— الإبداع الجديد وقضايا المجتمع

في القصة القصيرة (دراسة نقدية)

— الميلاد . . غدا (ديوان شعر)

— العامية الفصحى (دراسة لغوية)

— رسائل .. إلى سلوى (رسائل أدبية)

— مع الضاحكين ..

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٩٣/ ٢٢٢٠

I.S.B.N.977-01-3265-9